مغالطات

القاسم والسكران

في بحثهما عن المناهج الشرعية بالمملكة العربية السعودية

المقدم إلى مؤتمر الحوار الوطني الثاني

كتبه

سليمان بن صالح الخراشي

1425هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : (أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويُتخطف الناس من حولهم ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون).

قال تعالى : (أولم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيئ رزقًا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون).

قال تعالى : (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دارالبوار).

قال تعالى : (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يُصلحون).

ولاتحتقر كيد الضعيف فربما
تموت الأفاعي من سموم العقارب

فقد هد عرش بلقيس هدهد
وخرّب فأر قبل ذا سد مأرب

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعد، وآله وصحبه .. وبعد:

فلم يعد يخفى على عاقل ما منَّ الله عز وجل به على بلادنا (المملكة العربية السعودية) من نعمة الإيمان والأمن الذي تفردت به بين العالمين:

أما الإيمان: فبتوفيقها إلى اتخاذ الإسلام منهج حياة عليه تحيا وعليه تموت؛ والتزام عقيدة أهل السنة، ونشرها في الآفاق مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين" (متفق عليه).

وأما الأمان: فهو نتيجة حتمية للأمر الأول، يزيد بزيادته، وينقص بنقصه؛ كما قال تعالى **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن)**.

ولا زالت هذه البلاد الكريمة منذ نشأتها قبل حوالي 270 سنة باللقاء العظيم بين المحمدين: الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمهما الله- تسير على هذا المنوال، فخورة بما حباها الله وشرفها به من حمل دين الله كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم دون زيادة أو انحراف أو عبودية لغير الله، يوصي سابقها لاحقها بمواصلة المسير على هذا الدرب العظيم والمقام الرفيع.

فكانت مناهجها تقوم على نشر عقيدة السلف الصالح، ومحاربة البدع والانحرافات، وربط المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع شؤونهم، مع عدم تفريط بأمور الدنيا النافعة.

وكانت كتب الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب وعلماء الدعوة -رحمهم الله- محل عناية واعتماد هذه الدولة السلفية في مراحلها الثلاث في تلك المناهج تدريساً وطباعة ونشراً؛ لما احتوت عليه من بيان وتوضيح لأمور التوحيد ومهمات العقيدة.

يقول الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في رسالته لأهل القصيم: "ثم تفهمون أن الله سبحانه منَّ علينا وعليكم بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- وإظهاره لدين الإسلام، وإيضاح ذلك بالأدلة والبراهين من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم"[1].

---

(1) لسراة الليل هتف الصباح؛ عبدالعزيز التويجري، (ص 389).

ويقول –رحمه الله–: "قد أظهر الله في آخر الأمر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ثم من بعدهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمهم الله تعالى– ونفع بهم الإسلام والمسلمين.

ولما ندرت أعلام الإسلام **وكثرت الشبهات والبدع**، خصوصاً أيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قام أسلافنا بأقوالهم وأفعالهم بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قبلوا ذلك وقاموا به وأظهره الله على أيديهم. ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو أن يحيينا الله ويميتنا على ذلك"[1] .

ويقول –رحمه الله– في رسالته لفيصل الدويش– مبيناً ضرر أهل البدع: "ولا يقطع عقلك يا فيصل يا أخي أن على الإسلام وأهله أضر من أهل الجهل والبدع إذا صاروا في قلب المجتمع"[2].

ويقول –أيضاً–: "إنني رجل سلفي، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة"[3].

ويقول –رحمه الله– في خطاب صريح وواضح: "يسموننا "الوهابيين"، ويسمون مذهبنا "الوهابي" باعتبار أنه مذهب خاص.. وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض.. نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبدالوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح.

ونحن نحترم الأئمة الأربعة ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة.. كلهم محترمون في نظرنا.

هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب يدعو إليها. وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شائبة **منزّهة من كل بدعة**، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب"[1].

---

(1) السابق، (ص 527).

(2) السابق، (ص 402).

(3) المصحف والسيف، (ص 135).

قلت: وهكذا سار أبناؤه من بعده إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد –حفظه الله–. الذي كان أول وزير للمعارف[2] يفخرون بحمل هذه العقيدة السلفية، ولا يفكرون بالتفريط بها –ولله الحمد–.

يقول خادم الحرمين الشريفين: "قد سعد المسلمون بشريعة الإسلام حين حكموها في حياتهم وشؤنهم جميعاً. وفي التاريخ الحديث قامت الدولة السعودية الأولى منذ أكثر من قرنين ونصف: على الإسلام؛ حينما تعاهد على ذلك رجلان صالحان هما: الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمهما الله– قامت هذه الدولة على منهاج واضح في السياسة والحكم والدعوة والاجتماع. هذا المنهاج هو الإسلام: عقيدة وشريعة"[3]

ويقول –حفظه الله–: "إن التربية الإسلامية موجودة في كل بيت في هذه البلاد؛ وهي التربية الصحيحة التي لا تمنعنا من أي شيء فيه فائدة لنا ديناً ودنيا"[4].

ويقول –سلمه الله– في خطاب صريح: "لقد وجدت من المناسب ولو أن الموضوع الذي سوف أقوله للإخوة ليس له علاقة بمؤتمركم، إلا أنها مناسبة طيبة لإيضاح أمر يتردد، ورأيت أن من المفيد إذا سمح الإخوة وسامحوني في نفس الوقت أن أتحدث عنه، رغم أنه لا يتعلق بعملهم.

لقد درجت كثير من الصحافة في عالمنا الإسلامي أو في عالمنا العربي أو العالم الغربي أو العالم الشرقي على نعت هذه الدولة بأنها "وهابية".

إن منهم من يعتبر هذا مديحاً إذا رضي، ويعتبره ذماً إذا غضب، ويرى أن "الوهابية" مذهب يخالف مذهب أهل السنة والكتاب، ويخالف مذهب السلف الصالح.

هذا الأمر قد لا يعنيكم كثيراً، ولكن إذا سمحتم لي أن أعتبر هذه المناسبة فرصة لكي يعلم إخواننا الإعلاميون أو كتابنا ويدركوا تماماً، أنه ليس هناك شيء اسمه "وهابية".

إذا أراد أحد يهين هذه البلاد وأهلها، فإنه يطلق عليهم "وهابيين".

---

(1) السابق، (ص 52-53).

(2) استلم –حفظه الله– الوزارة من عام 1373هـ إلى عام 1380هـ. انظر: "لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية" للأستاذ عبدالعزيز آل الشيخ –رحمه الله–.

(3) "خادم الحرمين الشريفين: خطب وكلمات"، إصدار: دارة الملك عبدالعزيز، (ص281).

(4) السابق، (ص 88).

وهذا معناه إذا تقبلناه أن لنا مذهباً آخر يختلف عن العقيدة الإسلامية.

أولاً: ليس هناك شيء اسمه "وهابية"، وإذا أراد أحد أن يكيل لنا شيئاً لا يوجد فينا أو يهين كرامة إمام من أئمة المسلمين، هو الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإنه يلصق بهذه الدولة اسم "وهابية"، وأنا أقول ليس هناك شيء اسمه "وهابية" في هذه البلاد.

ومن اطلع على مؤلفات شيخنا الكبير في هذه البلاد الإمام محمد بن عبدالوهاب يجد أنه درّس في صغره الأئمة في هذه البلاد، ثم انتقل للدراسة في الحرمين الشريفين. وبعد ما تشبّع بالدراسة على أيدي العلماء المسلمين الذين كانوا موجودين آنذاك هنا، أو ممن يفدون إلى بيت الله الحرام سواء للعمرة أو للحج، ذهب إلى البصرة واستفاد من كثير من العلماء الأفاضل.

وبعدها ذهب إلى الإحساء، واستفاد كذلك من طلاب العلم الموجودين في ذلك الوقت، ثم عاد إلى وسط المملكة العربية السعودية.

كانت العقيدة الإسلامية موجودة، ولكن كانت تشوبها شوائب كثيرة، وأدخلت عليها بعض الأمور التي لا تتفق مع نص العقيدة الإسلامية الصحيحة.

فكان تفكير الإمام محمد بن عبدالوهاب ينصب على اختيار الوسيلة التي يستطيع أن يوضح بها هذا الإمام الجليل، لشعب هذه الجزيرة في ذلك الوقت، المفهوم الصحيح للعقيدة الإسلامية." [1].

ويقول –حفظه الله– راداً على أهل البدع: "العقيدة الإسلامية –والحمدلله– أبانت الأمور بشكل غير قابل للنقاش؛ إلا من أراد أن يوهم بأشياء أخرى. والدين الإسلامي وسط، فلا رهبنة في الإسلام، **وقد يعتقد البعض أن التصوف أو بعض النواحي الأخرى البعيدة عن منطق الإسلام هي الإسلام**. إنه على العكس؛ فالإسلام فيه المرونة والمحبة والتقوى والعمل والجد والنشاط، ولم تأمر العقيدة الإسلامية بالكسل أو التكاسل **أو التصوف** على غير معنى"[2].

قلت: ولا زالت بلادنا –حرسها الله– تسير على هذا المنهج السلفي الراشد، غير عابئة بكيد الكائدين وحسد الحاسدين من أعداء الإسلام، الذين أخبرنا الله بما يضمرونه لنا إن نحن

(1) السابق، (ص 140-141).

(2) السابق، (ص 24 – 25).

سرنا على الصراط المستقيم بقوله (**قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر**) وقال سبحانه (**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**) وقال سبحانه (**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**) وقال تعالى (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**)... إلى آيات أخرى كثيرة. ولكن هذا الكيد والحسد غير ضارنا –بإذن الله– إن نحن ثبتنا واعتصمنا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (**بلى إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً**).

فليس العجب إذاً من كيد الكافرين وحسدهم لهذه البلاد؛ لأن هذا أمر متقرر وسنة إلهية لمن تمسك بشرع الله. ولكن العجب من أقوام من بني جلدتنا، يتكلمون بلساننا، ويلبسون ثيابنا رضوا لأنفسهم أن يكونوا ظهيراً للمجرمين في حملاتهم على بلاد التوحيد ومناهجها بغية زحزحتها عن مصدر عزها وفخرها وسعادتها ونجاتها.

أقول هذا بعد أن اطلعت على بحث قدمه عبدالعزيز القاسم وإبراهيم السكران لمؤتمر الحوار الوطني الثاني للنيل من مناهجنا الشرعية وتصويرها بأبشع صورة محاولين تحميلها إثم غيرها من الجهلة والغالين في دين الله افتراء وبهتاناً –كما سيأتي إن شاء الله–

ولقد ساء بحثهما كل غيور على هذه البلاد ومناهجها الصافية؛ لما رأوا فيه من تجنيات وافتراءات وكذبات، وسُرَّ به المنافقون وأهل البدع وأمثالهم من مرضى القلوب وطاروا به كل مطار، واتخذوه سلاحاً يقاتلون به أهل الإسلام[1].

فصدق في القاسم والسكران قول الشاعر:

---

(1) قام موقع (إسلام أون لاين)! بالاحتفاء ببحث القاسم والسكران ونشره بكامله! محادة لأهل هذه البلاد. وأيضاً قامت جريدة الأحداث المغربية بنشر البحث تحت عنوان "هذا ما يتعلمه التلاميذ في السعودية: الحضارة المعاصرة حظيرة بهائم حيوانية!"!! فتأمل هذه السخرية والإفتراء. وحق لنا أن نقول لهذه الجريدة الحقيرة:

وإن ترفع الوضعاء يوماً على الرفعاء من إحدى الرزايا

ونقول لهم أيضاً:

ولو أني بليت بهاشمي خؤلته بنو عبد المدان
لهان ما ألقى ولكن تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

ألا تنظر هذه الجريدة الحقيرة إلى أحوال بلادها المتردية ديناً ودنيا فتصلحها قبل أن تسخر بمن هم فوقها؟ وأما فرح الرافضة والعلمانيين بالبحث فقد علمه كل متابع لمنتديات الإنترنت. فهنيئاً للقاسم والسكران!

وإخوانٌ حسبتهموا دروعاً فكانوها ولكن للأعادي

وخلتهمو سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي

ولقد كنت عازماً على الرد على بحثهما منذ أن اطلعت عليه خشية أن يغتر به من يجهل حقيقة ما قام به الباحثان من عبث متعمد وخيانة علمية، فيسلم لكلامهما عن المناهج. إلا أن عزمي انتقض عند علمي بقيام أحد طلبة العلم بهذه المهمة.

ولكن مرت الأيام تلو الأيام ولم يظهر هذا الرد المنتظر ! فلما تبينتُ حقيقة الحال علمت أن ذاك الرد قد يتأخر نظراً لانشغال صاحبه بظروف طارئة، فصح العزم مني على التصدي لبحثهما وتفنيد ما جاء فيه من أخطاء وشناعات ألصقوها بمناهجنا الشرعية تلبيساً على عقول الآخرين ممن قد لا يتنبه لصنيعهما[1].

(1) **وقد شرعت في الرد يوم الثلاثاء الموافق 18 محرم 1425هـ .**

وقد أحببت أن أقدم بتنبيهات ومهمات؛ كتوطئة للرد قبل الشروع فيه:

(التنبيه الأول) :

أن من يطعن في مناهجنا الشرعية فإنما هو يطعن –شاء أم أبى– في الكتاب والسنة! وقد يستغرب البعض هذا القول. ولكن سيزول استغرابهم حينما يرون أن الطعونات التي وجهها الباحثان لمناهجنا تتعلق بأمور جاءت بها النصوص الشرعية –كما سيأتي–. وما من مسألة وجها إليها سهام نقدهما إلا ودليلها حاضر من الكتاب أو من السنة، وقد ذكره المقرر!

ولكنهما لم يجرؤا على التصريح بهذا لخطورته على دينهما. وارتضيا بسذاجة حصر نقدهما في المناهج أو المقرر، وهذا لا يغير من الحقيقة شيئاً عند العقلاء.

(التنبيه الثاني) :

أن من يطعن في مناهجنا فإنما هو يطعن ويقوض –شاء أم أبى– الأساسات التي قامت عليها هذه البلاد.

لماذا ؟

لأن مناهجنا الشرعية (أعني مقرر التوحيد) هي من كتب الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب وعلماء الدعوة، وهي الكتب التي قامت عليها هذه البلاد –بعد الله– منذ نشأتها وارتضاها ملوكها –سابقاً ولاحقاً– منهجاً لهم؛ كما مضى في كلماتهم وخطاباتهم.

فمناهج التوحيد للصفوف الابتدائية هي من الرسائل والقواعد القصيرة للشيخ الإمام.

ومناهج التوحيد للصفوف المتوسطة هي كتاب التوحيد للشيخ الإمام.

ومناهج التوحيد للصفوف الثانوية هي من مسائل علماء الدعوة قديماً وحديثاً.

فالطاعن في هذه المناهج إنما هو طاعن في مؤلفيها وواضعيها والراضين بها من أئمة وملوك هذه البلاد.

(التنبيه الثالث) :

أن كاتبي البحث –حسب علمي– لم يمارسا مهنة التعليم، وليست عندهما تجربة كافية للحكم على مناهجنا الشرعية وتقويمها، فمثلهما كما قيل:

"ما أنت بالحكم الترضى حكومته"

ويتأكد لك ذلك عندما ترى شيئاً من مقترحاتهما الخيالية التي جعلوها بديلاً لما يريدون حذفه من مناهجنا.

(التنبيه الرابع) :

أن تاريخ الباحثَيْن (ومن شابههما) لا يؤهلهم لهذا المرتقى الصعب الذي ارتقوه؛ وهو الكتابة عن مناهجنا، ثم اتهامها بالنزوع إلى التكفير والتهوين منه! لأن بعضهم قبل سنين قليلة كان من المشغبين على بلادنا، المثيرين عليها الفتن، بل الغالين في التكفير والساعين في التفجير! [1] وقد سجن منهم من سجن؛ وعلى رأسهم أحد كاتبي هذا البحث (القاسم) .

فكيف لم يستح هؤلاء من تغيير مسوحهم، والظهور من السجن بوجه آخر يزعم (الإصلاح) و(الوسطية) ويسدد رميه نحو مناهجنا الشرعية، وهو قبل سنوات يرميها بالتهاون ومداهنة الظلمة !!

فكيف يريدنا هؤلاء أن نثق ببحثهما وهذا تاريخهم شاهد على اضطراب عقولهم، وتناقض مواقفهم، والتقلب ذات اليمين واليسار.

وليعذرنا هؤلاء إن قلنا لهم نحن وحكومتنا ومناهجنا ما قاله المثل العربي القديم:

"كيف أعاودك وهذا أثر فأسك" !

---

(1) بعض هذه الفئة المخذولة كان قبل سنوات يكفر الدولة السعودية وعلماءها !! ويتبجح بتوزيع كتاب المقدسي "الكواشف الجلية" ! ثم انقلب بين عشية وضحاها إلى "مفكر إسلامي" يعالج ظاهرة الإرهاب بين الشباب! وكان هو وإخوانه أولى بالمعالجة لدى المصحات النفسية التي تقي شبابنا من تقلباتهم واضطرابهم.

مناهجنا ومسائل التكفير:

بما أن مناهجنا الشرعية –ولله الحمد– نابعة من عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة السلف الصالح التي ارتضاها الله لعباده المؤمنين؛ فإنها كانت وسطاً بين الغالين والجافين في جميع مسائل العقيدة، وعلى رأسها مسألة التكفير؛ فهي وسط بين الغلاة من الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالذنوب والكبائر، وبين المفرطين من المرجئة والعصريين الذين لم يكفروا من كفره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وجاءت محذرة من التهاون في إطلاق الكفر على من ثبت إسلامه، وعدم التساهل في هذا الأمر الخطير.

ثم جاءت أخيراً بالحث على لزوم جماعة المسلمين، والسمع والطاعة لولاة الأمر، والزجر والتخويف لمن نازع الأمر أهله.

فإليك نماذج وأمثلة تبين هذا من مناهجنا؛ ليتضح لك مقدار الجناية والجرم والافتراء الذي خطته يدا كاتبي البحث عندما زعما زوراً أن مناهجنا ذات نزعة تكفيرية !:

المثال الأول : جاء في مادة (الحديث) للصف الأول المتوسط الحديث التالي تحت عنوان: النهي عن تكفير المسلم: "عن عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر! فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه".

إرشادات الحديث:

1- التحذير الشديد من تكفير المسلم بدون سبب يكفره.
2- من كفّر مسلماً بدون سبب فإن التكفير قد يرجع عليه.
3- تحريم الإسلام لجميع الأمور التي تفرق بين المسلمين ومنها نسبة المسلم إلى الكفر.
4- دل الحديث على تحريم عرض المسلم والاعتداء عليه بأي وصف من الأوصاف التي تخرجه عن دينه.
5- وجوب تطهير اللسان والمحافظة عليه من الألفاظ والكلمات التي توقع في الكفر.

6- على المسلم أن ينصح أخاه المسلم إذا رأى منه أمراً يخل بالدين، بدل أن يسارع إلى رميه بالكفر".

المثال الثاني : جاء في مادة (التوحيد) للصف الثالث الثانوي: "**التكفير**: التكفير هو الحكم على شخص بأنه كافر.

أحوال الناس في الحكم عليهم: الإنسان، إما أن يكون كافراً أصلياً كاليهود والنصارى والوثنيين وتكفير هؤلاء واجب بل إن من لم يكفرهم أو شك في كفرهم فهو كافر، وإما أن يكون مسلماً فهذا لا يجوز تكفيره إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

خطورة تكفير المسلم: تكفير المسلم أمر عظيم وخطير لا يجوز الإقدام عليه إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع، قال تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا**).

وقال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله" وعن أسامة رضي الله عنه قال: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبّحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟! فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ"، فأجرى صلى الله عليه وسلم أمرهم في هذه الدنيا على الظاهر وهو ما أقروا به من الإسلام، وهذا هو الأصل بقاء المسلم على إسلامه حتى يأتي ما ينقله عنه ببرهان صحيح، وقد ورد في السنة التشديد في تكفير المسلم لأخيه المسلم. قال صلى الله عليه وسلم: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما".

التكفير حق لله: فلا نكفر إلا من كفّره الله ورسوله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم

شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله".

أنواع التكفير: للتكفير أنواع ثلاثة؛ تكفير بالعموم، وتكفير أوصاف، وتكفير أشخاص وسنعرض لهذه الأنواع بالتفصيل التالي:

أ- التكفير بالعموم: ومعناه تكفير الناس كلهم عالمهم وجاهلهم من قامت عليه الحجة ومن لم تقم. وهذه طريقة أهل البدع وقد برأ الله أهل السنة منها.

ب- تكفير أوصاف: وهذا كقول أهل العلم في كتب العقائد في باب الردة من كتب الفقه: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر، ومن سب الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم كفر، ومن كذب بالبعث كفر. وإطلاق أهل العلم هذا يقصدون به أن هذا الفعل كفر يخرج من الإسلام أما صاحبه فلا يكفرونه حتى تتوفر الشروط وتنتفي الموانع، فليس من لازم كون الفعل كفراً أن يكون فاعله كافراً[1].

ج-تكفير المعين: والمقصود به الحكم على الشخص الذي وقع في أمر يخرج من الملة بالكفر.

ومذهب أهل السنة والجماعة في ذلك وسط بين من يقول: لا نكفر أحداً من المسلمين ولو ارتكب ما ارتكب من نواقض الإسلام.. وبين من يكفر المسلم بكل ذنب دون النظر إلى أن هذا الذنب مما يكفر به فاعله أم لا ودون النظر إلى توفر شروط التكفير وانتقاء موانعه.

شروط التكفير : يشترط للتكفير شرطان :

أحدهما : أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر به فاعله.

---

(1) قلت: وهذا –كما سيأتي– لم يفهمه كاتبا البحث: فخلطا بين تكفير الفعل وتكفير المعين! واتهما مناهجنا زوراً بأنها تكفر المسلمين!

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

الثاني: انطباق الحكم على من فعل ذلك بحيث يكون عالماً بذلك قاصداً له مختاراً، فإن كان جاهلاً أو متأولاً أو مخطئاً أو مكرهاً فقد قام به مانع من موانع التكفير فلا يكفر على حسب التفصيل الآتي في موانع التكفير.

موانع التكفير: (أ) الجهل: والجهل يكون مانعاً من موانع التكفير في حالات دون حالات وإليك تفصيل ذلك فيما يأتي:

1- من كان حديث عهد بالإسلام أو من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان فأنكر شيئاً مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالصلاة أو تحريم شرب الخمر وكذا من نشأ في بلاد يكثر فيها الشرك ولا يوجد من ينكر عليهم ما يقعون فيه من الشرك فلا يكفرون إلا بعد أن تقام عليهم الحجة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: بعد أن ذكر بعض أنواع الشرك "... وإن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه" وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "... وإذ كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم"

2- من أنكر الأمور المعلومة من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وتحريم شرب الخمر مع كونه في دار إسلامٍ وعلمٍ، ولم يكن حديث عهدٍ بإسلام فإنه يكفر بمجرد ذلك.

3- هناك أحكام ظاهرة متواترة مجمع عليها ومسائل خفية غير ظاهرة لا تعرف إلا من طريق الخاصة من أهل العلم كإرث بنت الابن السدس مع بنتٍ وارثة النصف تكملة للثلثين. فمن أنكر شيئاً من هذه الأحكام من العامة فلا يكفر إلا بعد أن تبين له ثم يصر على إنكاره، أما من أنكرها من أهل العلم فيكفر إذا كان مثله لا يجهلها.

(ب) الخطأ : بأن يعمل عملاً أو يعتقد اعتقاداً يكون مخالفاً للإسلام كمن حكم بغير ما أنزل الله مخطئاً وهو يريد أن يحكم بما أنزل الله أو فعل شيئاً من الشرك يظنه جائزاً أو أنكر شيئاً من الدين ظاناً أنه ليس منه والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر". قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة".

(ج) التأويل: وهو صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالفه لدليل منفصل، وهو قسمان:

القسم الأول: قسم يعذر صاحبه بتأويله، وهو ما كان مبنياً على شبهة، بأن كان له وجه من لغة العرب، وخلصت نية صاحبه؛ كمن تأول في صفات الله تعالى وكان تأويله مبنياً على شبهة وخلصت نية صاحبه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن سبب عدم تكفير الإمام أحمد وغيره لمن قال بخلق القرآن بعينه: "إن التكفير له شروط وموانع وقد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه". وقال في موضع آخر عن نفس المسألة: "فالإمام أحمد رضي الله عنه ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنه لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فاخطاؤا وقلدوا من قال ذلك لهم".

والقسم الثاني: تأويل لا يعذر أصحابه كتأويلات الباطنية والفلاسفة ونحوهم ممن حقيقة أمرهم تكذيب للدين جملة وتفصيلا أو تكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به كتأويل الفرائض والأحكام بما يخرجها عن حقيقتها وظاهرها. فهذا كفر مخرج عن الإسلام.

(د) الإكراه : من أكره على الكفر بأن ضُرب وعذب، بأن يرتد عن دينه أو يسب الإسلام.. أو هدد بالقتل والمهدِّد قادر على فعل ما هدد به، فكفر ظاهراً مع اطمئنان قلبه بالإيمان فهذا معذور ولا يكفر بفعله ذلك، قال تعالى: (**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذاب عظيم**).

كيفية قيام الحجة : لا يحكم على معين بالكفر إلا بعد قيام الحجة عليه وإصراره على الكفر الذي وقع منه، وإقامة الحجة يختلف من بلد إلى آخر ومن زمان إلى آخر ومن شخص إلى آخر ومن كونه كلاماً نظرياً إلى تطبيق على شخص معين ويتلخص ذلك: ببلوغ الحجة للمعين وثبوتها، وتمكنه من معرفتها وكل ذلك لا يتم إلا بوجود من يحسن إقامة الحجة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "... وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان". وقال الشيخ سليمان بن سحمان: "الذي يظهر لي والله أعلم أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة").

المثال الثالث : جاء في كتاب (التوحيد) للصف الثالث الثانوي فصل عن (الفتنة) ورد فيه في بيان موقف المسلم من الفتنة:

((ج) لزوم جماعة المسلمين وإمامهم إذا وقعت الفتنة، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فيعتزل تلك الفرقة كلها.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم وفيه دخن" قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر"، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها": قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: "هم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا". قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم" قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".

(د) الصبر على جور الولاة وعدم الخروج عليهم إلا إن وقع منهم كفر بواحٌ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا: "أنْ بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان".

(هـ) ترك السعي في الفتنة بأي طريق وكلما كان الإنسان أبعد منها كان أسلم من الوقوع فيها:

فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها ستكون فتن ألا ثُمَّ تكون فتنةٌ القاعدُ فيها خير من الماشي إليها والماشي فيها خير من الساعي إليها. ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه"، قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: "يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء. اللهم! هل بلغت؟ اللهم! هل بلغت؟ اللهم! هل بلغت؟" قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجئ سهم فيقتلني ؟ قال: "يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار").

<u>المثال الرابع</u> : جاء في كتاب (الحديث) للصف الثاني الثانوي: فصل بعنوان (حقوق الراعي والرعية) ورد فيه:

(1–السمع والطاعة:

والمراد بها الانقياد له والتنفيذ لأمره، والانتهاء عما ينهى عنه ما لم تكن في معصية الله تعالى. وقد جاءت النصوص الكثيرة في ذلك، قال تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)**. وهذه الطاعة تكون في جميع أحوال الإنسان، من العسر واليسر، والمنشط والمكره، وفي حال المحبة والكره، ومهما كان الوالي .

أخرج البخاري وغيره عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة".

وأخرج مسلم وغيره، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك".

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".

وهذه الطاعة لها أجر وثواب، إذ هي من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، روى الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني".

2–الاجتماع على الوالي:

من أهم الحقوق: الاجتماع على الوالي، وعدم الفرقة والاختلاف عليه، فالاجتماع رحمة، والفرقة شر، وكلما اجتمعت الأمة على الوالي قويت شوكتها، وشاع الأمن فيها، واطمأن الناس، وهابها أعداؤها، واستقام أمرها.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم وفيه دخن" قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر"، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها": قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: "هم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا". قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم" فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".

3–النصرة والجهاد معه والدعاء له :

وهذا من حقوق الوالي، إذ إنه من مقتضى السمع والطاعة، والاجتماع عليه أن يجاهدوا معه ولا يخذلوه، وأن يدعوا له بالصلاح والتوفيق والتسديد، ففي ذلك مصلحة الأمة بأفرادها ومجموعها، قال الطحاوي رحمه الله: "والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برّهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما".

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام؛ لأن به صلاح الرعية، فإذا صلحت أمن العباد والبلاد".

4-النصيحة له :

وهذه من أجل الحقوق، إذ بها يكمل الخير، ويتعاون الجميع على البر والتقوى، أخرج مسلم وغيره، عن تميم بن أوس الداري –رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة" ثلاثاً، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم".

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم..." الحديث.

5-عدم الخروج عليه :

ولا شك أن مقتضى الاجتماع عليه والطاعة له: عدم الخروج أو منابذته بالسيف وغيره. ولو كان جائراً؛ لما يترتب على الخروج عليه من المفاسد العظيمة كالتفرق والتشتت، وعدم الأمن والطمأنينة، وغير ذلك، وقد تقدم ما يدل على ذلك من حديث حذيفة وغيره.

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية".

وروى مسلم عن عوف بن مالك –رضي الله عنه– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم

الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم" فقلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعنّ يداً من طاعته").

المثال الخامس : جاء في كتاب (الفقه) للصف الأول الثانوي: فصل بعنوان (حد قطاع الطرق: الحرابة) ورد فيه:

(ويدخل في الحرابة: ما يقع من ذلك في طائرة أو سفينة، أو سيارة، وسواء كان تهديداً بسلاح، أو زرعاً لمتفجرات، أو نسفاً لأبنيه".

وورد فيه –أيضاً–: "ومن صور الحرابة التي مُنِيَتْ بها الأمة في العصر الحاضر ما يسمى بـ(الاختطاف) الذي كثر وقوعه وتفنن المجرمون في أساليبه.

لذا فإن جرائم الخطف لانتهاك الحرمات على سبيل المجاهرة من الحرابة والفساد في الأرض، ويستحق فاعلها العقاب الذي ذكره الله تعالى في آية المائدة وسبق بيانه.

وسواء في ذلك أن يكون الخاطف قد قتل، أو جنى جناية دون القتل، أو أخذ المال، أو انتهك العرض، أو لم يكن منه إلا الإخافة والتهديد. وسواء كان الخطف في المدن والقرى أو في الصحاري، في السيارات أو الطائرات أو القطارات أو غيرها، وسواء كان تهديداً بسلاح أو وضعاً لمتفجرات أو أخذاً لرهائن أو احتجازاً لهم في أماكنهم والتهديد بقتلهم أو نحو ذلك".

وورد فيه –أيضاً– : "وجوب السمع والطاعة لإمام المسلمين في غير معصية الله:

إن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين وضرورياته، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصالحهم إلا باجتماعهم، ولابد عند الاجتماع من أمير، وقد أوجبه الشارع في الاجتماع القليل العارض كالسفر تنبيهاً بذلك على ما هو أهم وهو اجتماع الناس تحت إمام واحد.

ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والعدل، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، ولا يتم ذلك إلا بالقوة والإمارة.

وقد أمر الله جل وعلا بطاعة ولاة الأمر فقال تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**).

وأمر به المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني" متفق عليه. وهذا ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا يطاع فيها.

عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" متفق عليه.

والسمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية الله أمر مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة، وأصل من أصولهم التي باينوا بها أهل البدع والأهواء.

تحريم الخروج عليه: إذا تمت البيعة للإمام بأن بايعه أهل الحل والعقد ثبتت ولايته ووجبت طاعته ويكفي عامة الناس أن يعتقدوا دخولهم تحت طاعة الإمام، وأن يسمعوا ويطيعوا، فمن مات وليس في عنقه بيعةٌ مات ميتة جاهلية، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" رواه مسلم.

ولا يجوز الخروج على ولي الأمر، ولا نزع يدٍ من طاعته ولو جار وظلم، ولا الدعاء عليه، وإنما الواجب على المسلم أن يكره ظلمه ومعصيته، ويصبر عليه ويناصحه، ويجب على أهل العلم والفضل الاجتهاد في مناصحته سرّاً، من غير إثارة فتنة، أو تحريض عليه.

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم" قلنا: يا رسول الله؛ أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: "لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة" رواه مسلم.

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية" متفق عليه.

ولذا أمر صلى الله عليه وسلم الأنصار بالصبر لما أخبرهم أن الأمراء سيستأثرون عليهم ويمنعونهم حقوقهم. أما الخروج على الإمام فلا يجوز إلا إذا أتى كفراً صريحاً.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فكان مما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: "إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان" متفق عليه).

المثال السادس: جاء في كتاب (الحديث) للصف الثالث الثانوي فصل بعنوان "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ورد فيه: تحت شروط إنكار المنكر: (أن يكون ظاهراً دون تجسس، فإن كان إنكار المنكر متوقفاً على التجسس فلا يجوز الإنكار؛ لقوله تعالى **(ولا تجسسوا)** ولأن للبيوت وما شابهها حرمة لا يجوز انتهاكها بغير مبرر شرعي).

قلت: هذه مجرد نماذج وأمثلة واضحة وسهلة لبعض ما ورد في مناهجنا الشرعية مما يتعلق بأمور التكفير والسياسة الشرعية وإنكار المنكر أوردتها لتكون حاضرة في ذهن قارئ هذه الرسالة يتبين له من خلالها مدى الجناية والرمي بالباطل والبهتان الذي قام به الباحثان –هداهما الله–.

وليتبين له أن مناهجنا ومن وضعها من العلماء الأفاضل ليست زاداً مناسباً للغلاة في التكفير، ودعاة التفجير والتخريب، فلهذا لجأوا إلى غيرها مما يوافق تشددهم.

بل كان علماؤنا –خلال مسيرتهم– يقفون بالمرصاد لكل تيار يغلو أو يتشدد فيخالف هذه المناهج السلفية الواضحة.

وما مواقفهم تجاه فتنة "الإخوان" زمن الملك عبدالعزيز –رحمه الله–[(1)]، وفتنة "جهيمان"، وفتنة "دعاة التهييج"، وفتنة "غلاة التكفير بين المعاصرين" إلا شاهد على هذا.

فما مثل من يرميهم ومناهجهم –بعد هذا– بالتكفير إلا كما قيل: "رمتني بدائها وانسلت".

---

(1) لمعرفة جهود العلماء ونماذج من فتاواهم وكتاباتهم تجاه أول فتنة غلو حدثت في هذه البلاد زمن الملك عبدالعزيز، انظر: "الدرر السنية"، و "الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز" للدكتور محمد بن ناصر الشثري، و"لسراه الليل هتف الصباح" لعبد العزيز التويجري.

موجز بحث القاسم والسكران :

صاغ الباحثان بحثهما في مدخل وخمسة فصول ثم توصيات:

-أما المدخل (الخطاب الديني: الوظيفة والأهداف): فهو عبارة عن قواعد عامة تطالب بأن لا نغلب أحد جوانب النص على الجوانب الأخرى وأن نقرر مبادئ العدل في التعامل مع الآخرين والحضارات الأخرى! وأن نهتم بالمشاركة المدنية في مناهجنا. وكل هذه عموميات ستأتي حقيقة المراد منها في فصول البحث الخمسة.

-الفصل الأول (الموقف من المخالف بين العدل والتعبئة): وهو عبارة عن هجوم على مناهجنا لإبرازها عقيدة السلف الصالح وتحذيرها من البدعة وأهلها بدعوى أن هذا فيه تحاملاً على الآخرين! مع ذكر نماذج (تم تشويهها بتعمد!) من مناهجنا يزعمان أنها تدل على مقدار ظلمنا للمسلم المخالف.

وأعجب ما في هذا الفصل دفاع الباحثَيْن عن المشركين والقوميين والوطنيين وأصحاب المبادئ المنحرفة تحت مزاعم العدل (الكاذب).

ثم خلط الباحثَيْن بين عقيدة البراءة من الكفار التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة وبين التعامل المشروع معهم. فكانت نتيجة هذا الخلط رمي مناهجنا بظلم الكفار والتجني عليهم.

-الفصل الثاني (المقررات والموقف من الواقع بين الرؤية الموضوعية وتهويل الفساد): وملخصه أن المناهج تهول أمر الفساد الإعلامي والانحراف العقدي الموجود في بلاد المسلمين.

-الفصل الثالث (الموقف من التدين بين القلق والطمأنينة): وملخصه أن مناهجنا تبعث القلق في نفوس الطلاب! بسبب تحذيرها المبالغ فيه من الشرك والنفاق وأسبابهما!

-الفصل الرابع (الموقف من الحضارة بين قواعد التواصل وخطاب الإدانة) وملخصه: الزعم الكاذب أن مناهجنا تقف من الحضارة موقفاً مضاداً، في خلط متعمد بين الحضارة المادية النافعة التي امتلأت بها مناهجنا والحضارة الزائفة القائمة على الأفكار المنحرفة المعارضة لدين الإسلام. وهي التي يتضايق الباحثان من محاربة مناهجنا لها.

-الفصل الخامس (المنهج العلمي بين الموضوعية والتهويل) وملخصه: اتهام مناهجنا بأنها تهون أمر تكفير الآخرين دون مراعاة لشروط وضوابط التكفير! وأنها تبالغ في أمر التحذير من الشركيات اللفظية ونحوها.

-الخاتمة والتوصيات: وأبرزها (تنقية المقررات من النزعات التكفيرية)!! والعدل في التعامل مع المخالف! و(توعية المتلقي بواجباته في المشاركة السياسية الشعبية)!!

الخيانة العلمية لدى الباحثَيْن !

يؤسفني أن أقول لك –أخي القارئ– بأن الباحثَيْن يصدق فيهما ما قاله مؤلفو كتاب "خطاب إلى الغرب: رؤية من السعودية" في أمثالهما من أصحاب الخيانة العلمية عند الحديث عن مناهجنا؛ حيث قالوا فيهم: "إن المناهج في المملكة العربية السعودية بُنيتْ على أسس لا تخرج عما سبق ذكره من الأسس التي تقوم عليها سياسة التعليم. فاتهام التعليم الديني بأنه يزرع الكراهية ضد أهل الكتاب ومحاولة اختزال النصوص أو بترها من سياقها ليست من العلم في شيء وإنما هي نتاج الهوى أو الجهل. فالاختزال والبتر وتعمّد التشويه وعدم التحقق والتسرع في إصدار الأحكام القاطعة على أمور أساسية يؤكد أن هؤلاء الكتاب ليسوا منصفين ولا باحثين عن الحقيقة، بل كانوا مدفوعين بانفعالات الحدث، إذ إن كُتُب التربية الإسلامية احتوت على نصوص كثيرة تؤكد التسامح ووجوب حسن التعامل مع أهل الكتاب، فلماذا تجاهلوها وركَّزوا على ما يوهم بالعكس مما هو مبتور عن سياقه ؟!" [(1)].

وقد سار الباحثان (القاسم والسكران) على منوال أولئك للوصول إلى أهدافهما الدنيئة فبترا عبارات المناهج، وحذفا منها ما يريانه معارضاً لفكرتهما، وصرفا دلالة بعضها عن وجهته،

---

(1) "خطاب إلى الغرب.." (ص 145-146). وهو كتاب نافع كتبه مجموعة من الدعاة والمثقفين للرد على الافتراءات الموجهة إلى بلادنا في قضايا: (الإرهاب، الاتهام بالوهابية، تعليم المرأة، الجهاد، حقوق الإنسان، الجمعيات الخيرية..). ولكن كاتبي بحث الإرهاب جعلا من أسس التواصل بين الحضارات "الأخوة الإنسانية" ! (ص80). وهذه زلة ما كان ينبغي أن تصدر منهما؛ لأن الأخوة لا تكون إلا بين المؤمنين (**إنما المؤمنون أخوة**)، فلا أخوة بين مسلم وكافر، ولم يعهد هذا عند المسلمين، وإنما هو مصطلح عصري نشره من يريد تذويب الفوارق بين المسلم والكافر؛ لأنك لو تأملته لوجدت أن كلمة "الإنسانية" مقحمة فيه! لأننا نسأل أصحاب هذا المصطلح: ماذا تريدون بهذه الأخوة؟ إن أردتم أنها تستلزم المحبة والمودة والولاء فهذا محرم لا يجوز. وإن أردتم غير ذلك فوضحوه لنا! وسموا الأمور بمسمياتها الشرعية، وقد كانت لكم فسحة. فهلا قلتم –مثلاً– "التعاون على الحق"، بدلاً من تداول هذه المصطلحات غير الشرعية ؟!

وحمَّلا بعض ألفاظها ما لا تحتمل .. الخ عبثهما، وهذه ليست طريقة أهل الأمانة والتقوى، إنما عُهد هذا من أهل الزيغ والأهواء[1]. وإليك شيئاً مما يشهد لهذا –باختصار– لأنني بينت أكثره عند الحديث عن مغالطاتهما:

1-نقلا عن المنهج (ص18) أنه يقول: (لابد من الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه.. في سائر الحقوق، لا في الأحوال الشخصية فقط كما في بعض الدول التي تنتسب إلى الإسلام).

وعبارة المنهج: (ت3ث 70) [2]: (لابد من الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه في جميع موارد النزاع في الأقوال الاجتهادية بين العلماء، فلا يقبل منها إلا ما دل عليه الكتاب والسنة من غير تعصب لمذهب ولا تحيز لإمام، وفي المرافعات والخصومات في سائر الحقوق... الخ).

فحذفا ما تحته خط ! لماذا ؟ لأنه يتعارض مع تهمة يريدان إلصاقها بمناهجنا؛ وهي أنها تنصر مذهباً في مقابل المذاهب الأخرى !! وهذا ما يفتح لهما باباً لترديد مقولات من مثل: (وجوب التعددية، احترام الرأي الآخر...الخ)! أما إذا أحيلت الاجتهادات إلى الكتاب والسنة –وهو ما تقرره مناهجنا– فقد أسقط في أيديهما!

2-نقلا عن المنهج (ص27) أنه: (يعتبر أن الانبهار بالحضارة المادية من أسباب انحراف العقيدة. أما العلاج الذي يمارسه فهو : "تجاهل منجزات هذه الحضارة" أو جهدها)! وهذا كذب على المنهج.

فعبارة المنهج (ت1ث12-14) (الانحراف عن العقيدة الصحيحة له أسباب تجب معرفتها وعلاجها؛ ومن أهمها: –ثم ذكروا:– 5– الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية، حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده، فصاروا يعظمون البشر ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده).

فلم يدع المنهج إلى (تجاهل) منجزات الحضارة كما ادعى الباحثان إنما دعا إلى عدم الانبهار بها والغفلة عن الله الذي سخرها. وشتان بين الأمرين لمن عقل.

---

(1) ينظر رسالة العلامة الشيخ بكر أبو زيد "تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء".

(2) الرمز الأول للمادة، والثاني للصف، والثالث للمرحلة، والرابع للصفحة.

وأما علاج الانحراف عن العقيدة فقال المنهج: (1-الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله.. 2-العناية بتدريس العقيدة الصحيحة.. 3-أن تقرر دراسة الكتب السلفية.. 4-قيام دعاة مصلحين يجددون للناس عقيدة السلف).

فأين (تجاهل منجزات الحضارة) الذي افتراه الباحثان على المنهج ؟!

3-قولهما (ص29): (كما يتجاهل -أي المنهج- عذر المتأول فيوحي بإطلاق الكفر على كثير من المذاهب المخالفة) !! وهذا كذب وافتراء على المنهج -كما سيأتي-. ولعل هذا الإيحاء الذي جال بذهن الباحثَيْن من الإيحاء الشيطاني لا الإيماني !

4-نقلا في (ص7) ما ذكره المنهج عن بدعة المولد النبوي ببتر وحذف لكثير من الألفاظ التي توضح لماذا حرمت هذه البدعة وما أوجه مشابهتها للنصارى. (انظر منهج التوحيد للصف الثالث الثانوي، ص 126-127).

5-أوهم الباحثان القارئ (ص 9) أن المنهج يدعو إلى هجر أهل المعاصي مباشرة دون مناصحة أو أمر بمعروف! -وسيأتي بيان ما حذفاه-.

6-نقل الباحثان عن المنهج (ص10) أنه يقول: (إن ما ينذره جهلة المسلمين من نذور للأولياء والصالحين من أموات المسلمين، كأن يقول: يا سيد فلان إن رزقني الله كذا أجعل لك كذا.. فهو شرك أكبر).

فحذفا كلمات جعلا بدلها النقط! وهي (فهو نذر لغير الله وعبادة صرفت لغيره تعالى فهو شرك أكبر) الدالة على سبب جعل هذا العمل شركاً أكبراً!

7-نقل الباحثان (ص 13) عن المنهج قوله (ومحبة الله لها علامات تدل عليها.. ومنها: العزة على الكافرين بأن يظهروا لهم الغلظة والشدة والترفع عليهم). ثم قالا -مستنكرين ما جاء في المنهج-: (إن القرآن خص الغلظة بالمعتدين)!

وهذا كذب على كتاب الله عز وجل القائل (**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**) وقال واصفاً صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم بأنهم (**أشداء على الكفار رحماء بينهم**) ولم يخص كافراً دون كافر. وهذه الغلظة والشدة لا تنافي العدل كما قد يتوهم الباحثان.

الباحثان و"الهذر" الكلامي !

أول ما يلفت نظر القارئ في بحث القاسم والسكران: التشدق اللفظي، والتكلف الواضح في رص الكلمات العصرية اللامعة التي هي كالطبل الفارغ، بصورة تثير الشفقة وتدعو إلى الرثاء لحال كاتبيها؛ حيث حشرا نفسيهما في لباس ليس لهما. وإليك شيئاً من عباراتهما العجيبة التي تشهد لهذا :

-(الشاب المتدين بحاجة إلى رؤية واضحة لمشروعية الاندماج الاجتماعي، سيما المحافظة على مشروعية المجتمع و مؤسساته، ذلك أن اهتزاز الشرعية يوهن دوافع المشاركة والانتماء لديه لتأخذ في الانكماش، وتتزايد النزعة السلبية حتى يصل إلى إيثار الهروب والانسحاب من مسئولياته الاجتماعية بحثاً عن تحقيق التطهر والنقاء عن الامتزاج بفساد الواقع الذي جرى تصويره له، وقد يلجأ الشاب إلى إعلان المواجهة والصدام كتعبير عن الاحتجاج بدلاً من المشاركة الإيجابية الفاعلة) (ص16) .

-(إن أي ناصح للمجتمع الإسلامي يؤرقه التخطيط لمؤسساته، ونظمه، ومستقبله، والتبشير برسالته، لا يمكنه تجاهل أهمية الانفتاح المعرفي في بناء الأرضية المدنية والإطار الحضاري للواقع الإسلامي، خصوصاً في هذا العصر الذي تعقدت نظم الحياة فيه، وترابطت أجزاؤه، وأصبحت نسيجاً واحداً يؤثر بعض في بعض، وأصبح الحراك الاجتماعي يحتاج لأدوات حديثة، ومعايير دقيقة، واستيعاب لنظم الحياة المعقدة، وتنمية تدريبية للمهارات المدنية، لكي يستطيع الشاب المشاركة في المجتمع بصورة إيجابية تضمن تراكم الجهود في اتجاه البناء) (ص21).

-(الخطاب العلمي هو الخطاب الذي يتوخى العدل الشرعي في التقييم والتفسير، عبر رؤية الواقع واستيعابه كما هو، ومحاولة فرز ألوانه، والميل الشديد للتفصيل في موضعه، وتنظيم المعطيات، وإصدار الأحكام الهادئة، التي تحتفظ بهامش من النسبية، ولا يتورط في مجازفات تمليها عليه الإغراءات الكلامية، مع الاحترام المستمر للبرهان، ومحاولة تفهم دوافع المخالف، والبحث عن اعتباراته سواءً المعلنة أم الضمنية.

أما الخطاب الانفعالي الذي يحتوي على قدر عالٍ من التهويل والمبالغة، والمجازفة بالأحكام العامة، وتأكيدها بمفردات الحسم والقطع، وتجويز [هكذا!] من المغالطات في سبيل التعبئة للفكرة) (ص28).

قلت: والأمثلة على هذا "الهذر الكلامي" و"الشقاشق اللفظية" ليست قليلة في بحثهما. والسبب في ظني هو إدمان صاحبي البحث قراءة كتب العصريين التي لا تسمن من جوع، والاقتباس منها، رغم أن العقلاء من بني البشر هم الذين لا تسلب لبهم الألفاظ دون أن يتأملوا حقيقة ما تحتها من معاني.

ويحضرني في هذا المقام حكاية لطيفة للشاعر صفي الدين الحلي الذي اطلع أحدهم على ديوانه فقال: لا عيب فيه سوى أنه خالٍ من الألفاظ الغريبة ! فكتب إليه الحلي هذه الأبيات:

إنمـــا الحيزبـــون والـــدردبيس ... والطَّخــا والنُقَــاح والعلطبـــيس

والغطـــاريس والشـــقَطحب والصقـــ ... ـــب والحربصـــيص والعيظمـــوس

والحـــراجيج والعفـــنقس والعفـــ ... ـــلق والطرفاســـان والعســـطوس

لغـــةٌ تنفـــر المســـامع منهـــا ... حـــين تـــروى وتشـــمئز النفـــوس

وقبـــيح أن يُســـلك النـــافر الـــو ... حشـــي منهـــا ويُـــترك المـــأنوس

إن خـــير الألفـــاظ مـــا طـــرب الســـا ... مـــع منـــه وطـــاب فيـــه الجلـــيس

فبعض الباحثين -ومنهم كاتبا البحث- مولع بالمصطلحات العصرية، والألفاظ المفخمة التي لا ثمرة فيها لمن تدبرها؛ مصداقاً لقوله تعالى (**يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**)، فهي من قبيل (الزخرف) لا غير.

مغالطات الباحثَيْن[1] :

المغالطة الأولى :

(1) التزمت ترتيب المغالطات حسب ترتيب صفحات بحثهما .

عدم تفريق الباحثَيْن بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية –لله عز وجل-! فعندهما: ما دام أن البشر مختلفون -كوناً وواقعاً- في عقائدهم ومذاهبهم فإنه لا يحق لأحد أن يزيل أو حتى يحاول إزالة هذا الاختلاف بجمعهم على الحق؛ لأن هذه إرادة الله!

يقول الباحثان : (ص13) "نستخلص مما تقدم أن المقرر لم يعرض أصول الاختلاف وقواعد التعامل مع المخالفين وعلى رأسها:

1-أن الاختلاف سنة كونية: فلا يمكن لأي منظومة فكرية مهما أوتيت من الإمكانيات ووسائل الاتصال وقدرات التغيير أن تقضي على الاختلاف البشري أو توحد اتجاهات الإنسانية أو تحمل الناس على مسار واحد؛ ذلك أن الاختلاف سنة كونية ملازمة للحياة الإنسانية كما قال تعالى (**وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا**))، وسيبقى هذا الاختلاف كما قال تعالى (**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**). وقد رددوا مثل هذا في (ص5 ،15).

قلت: ووقوعهما في هذه الزلة العظيمة مما يثير العجب والأسى لكونهما من المتخصصين في العلوم الشرعية! ورغم هذا لم يفرقا بين إرادة الله الكونية التي قد لا تستلزم المحبة والرضا، وإرادته الشرعية التي تستلزم ذلك. وهذا مما يعرفه صغار الطلبة في بلادنا –ولله الحمد-. فالإرادة الربانية قسمان[1]:

1- إرادة كونية قدرية: أي أن كل يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله. فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فلا يخرج عن إرادته شيء، والكافر والمسلم تحت هذه الإدارة والمشيئة سواء، فجميع ما يصدر منهم -سواء كان إيماناً أم كفراً- فهو واقع –حتما- بهذه المشيئة، وهي لا تستلزم محبة الرب ورضاه.

ومن أدلتها: قوله تعالى (**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً**) وقوله (**ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد**) وقوله (**ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم**).

---

(1) انظر للزيادة: كتاب(الإيمان بالقضاء والقدر) للشيخ محمد الحمد، تقديم سماحة الشيخ ابن باز –رحمه الله-.

2- إرادة دينية شرعية: وهي تتضمن محبة الرب ورضاه. ومن أدلتها: قوله تعالى (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**) وقوله (**وما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم**) وقوله (**والله يريد أن يتوب عليكم**).

فالكفر والفسوق والمعاصي الواقعة من العباد قد شاءها الله وأرادها (كوناً) لأنه لا يخرج شيء عن مشيئته سبحانه، ولكنه لم يردها (شرعاً) ولهذا لا يحبها ولا يرضاها تعالى، بل أمر عباده ببغضها ومجاهدة أهلها. كما قال (**ولا يرضى لعباده الكفر**) مع أن الكفر واقع في الأرض.

والأعمال الصالحة الواقعة من العباد قد شاءها الله وأرادها (كوناً)، وأرادها (شرعاً). ولهذا فهي محبوبة مرضية عنده تعالى.

ومن لم يفرق بين الإرادتين وقع في تخبط عظيم يؤدي به إلى الرضا بالكفر والبدع والفسوق والمعاصي زاعماً -بجهله- أن الله قد (شاءها) و(أرادها)! فلماذا الإنكار على أهلها أو دعوتهم إلى الحق؟! [1]

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "فصل: وهاهنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط علماً، وهو أن الله سبحانه له الخلقُ والأمر. وأمره سبحانه نوعان: أمر كوني قدري، وأمر ديني شرعي.

فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله.

وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وُجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعاً فهو محبوبٌ للرب واقع بمشيئته، كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين.

وما لم يُوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني ولم تتعلق به مشيئتهُ.

(1) تنبيه: ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- "أن أبا الحسن -الأشعري- أول من خالف السلف في هذه المسألة ولم يفرق بين المشيئة والمحبة والرضا" (الفتاوى 475/8).

وما وُجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته –أي الكونية– ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني.

وما لم يُوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته.

فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية فتكون هي المحبة.

إذا عرفت هذا فقوله تعالى: (**ولا يرضى لعباده الكفر**)، وقوله: (**لا يحب الفساد**)، وقوله: (**ولا يريد بكم العُسر**)، لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره، فإن المحبة غيرُ المشيئة، والأمر غير الخلق". (شفاء العليل 1/141-142).

وقال ابن أبي العز –رحمه الله– في شرح الطحاوية: "ومنشأ الضلال: التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله، ولا مرضية له، فليست مقدرة، ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه". (شرح الطحاوية، ص324).

وفي ظني أن الذي أوقع الباحثَيْن في هذا الانحراف انصرافهما إلى قراءة كتب العصريين الذين لا يفقهون عقيدة السلف الصالح في هذه المسألة، ولهذا يخلطون كثيراً بين المشيئتين والإرادتين لأن هذا موافق لأهوائهم في عدم التفريق بين أهل الحق وغيرهم[1].

المغالطة الثانية :

تلبيسهما على القارئ بافترائهما على شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– بأنه ألف كتابه "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" للاعتذار عن انحرافات المبتدعة من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وصوفية !! (ص6).

---

(1) كمحمد عمارة وأحمد أبو المجد والعوا وهويدي.. وغيرهم. ولهذا تجدهم يفخرون بالتعددية الفكرية في تاريخنا!. انظر للرد عليهم في هذه المسألة وغيرها: رسالة "نظرات شرعية في فكر منحرف" المجموعة السادسة؛ لكاتب هذا البحث. وهي منشورة في موقع صيد الفوائد على شبكة الإنترنت.www. Saaid. net

وهو –رحمه الله– إنما ألف كتابه هذا ملتمساً العذر لأئمة أهل السنة والجماعة –أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد– فيما قد يقع في أقوالهم من مخالفة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، عازياً هذه المخالفة إلى أسباب[1]: إما عدم اعتقاد الإمام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحديث، أو اعتقاد أنه لم يرد تلك المسألة بهذا الحديث، أو اعتقاد أن الحكم منسوخ. هذه خلاصة رسالة شيخ الإسلام –رحمه الله–، فلا علاقة لها بالاعتذار عن المبتدعة والمنحرفين عن طريق أهل السنة والجماعة –كما يدعي الباحثان–!

كيف هذا ؟ وشيخ الإسلام هو صاحب الردود الشهيرة والفاضحة لطوائف أهل البدع؛ حيث رد على الرافضة بكتابه "منهاج السنة" ورد على الجهمية والأشاعرة بكتابه "تلبيس الجهمية"، ورد على الأشاعرة بكتابه "التسعينية" ورد على الصوفية بكتابه "الرد على الأخنائي".

كيف هذا؟ وهو القائل: "والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات، وفعل المحرمات؛ كتارك الصلاة والزكاة والتظاهر بالمظالم والفواحش، والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة"[2]

كيف هذا؟ وهو القائل: "ومن لم يندفع فساده في الأرض إلا بالقتل قتل؛ مثل المفرق لجماعة المسلمين، والداعي إلى البدع في الدين"

المغالطة الثالثة :

رغم حرص مناهجنا الشرعية على توضيح قضية التكفير وتقييدها بالضوابط الشرعية، وتحذيرها من التسرع أو التهاون فيها –كما سبق في المقدمة– إلا أن الباحثَيْن –لحاجة في صدورهما– قد أعميا أبصارهما عن هذا كله وافتريا على مناهجنا بأنها تهون أمر التكفير!! (ص6).

وحجتهما في ذلك أن المناهج وصفت أهل البدع بأنهم "منحرفون عن منهج السلف" !! أو أنهم من "الفرق المخالفة" أو "الفرق الضالة"!

---

(1) انظر كتابه، (ص 10).

(2) الفتاوى (205/8).

وأقول: أين التكفير في هذه الأوصاف؟!

ثم ادعيا أن المناهج قصدت الأشاعرة والماتريدية بقولها "من نفى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فقد كفر".

وهذا من الكذب والافتراء على مناهجنا؛ لأن القول السابق هو لأحد أئمة السلف "نعيم بن حماد" نقله المنهج عن مختصر العلو للذهبي (ص184) للرد على (المشبهة) وأوله: "من شبه الله بخلقه فقد كفر" وآخره: "وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهاً"[1].

والمشبهة هم الذين يشبهون صفات الله الخالق بصفات المخلوقين –تعالى الله عن قولهم–

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "اتفق السلف والأئمة على الإنكار على المشبهة الذين يقولون بصر كبصري، ويد كيدي وقدم كقدمي"[2].

وقد قال المنهج بعد النقل السابق عن نعيم بن حماد: (وهذا ردٌّ على المشبهة). فلماذا زاغت عنه أبصار الباحثَيْن ؟!

والمشبهة قد اتفق السلف على تكفيرهم[3].

أما الأشاعرة والماتريدية فقد قال المنهج: (القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر من حيث الثبوت ونفي المماثلة وعدم العلم بالكيفية. وهذا رد على الأشاعرة والماتريدية حيث فرقوا بين المتماثلات). فأين التكفير المزعوم؟! والمنهج إنما يلزم الأشاعرة والماتريدية أن يثبتوا جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة ما داموا قد أثبتوا بعضها؛ لأن القول في جميع الصفات واحد –كما بينه العلماء والمحققون– .

المغالطة الرابعة :

تستعمل مناهجنا كلمة (الإلحاد) في مقام الحديث عمن لم يثبتوا أسماء الله وصفاته، أو أولوها وحرفوها عن معناها الحقيقي؛ اتباعاً لقوله تعالى (**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا**

(1) وصحح إسناده العلامة الألباني –رحمه الله– كما في تعليقه على "مختصر العلو" (ص 184).

(2) درء التعارض (319/10). وانظر رسالة الدكتور ناصر العقل: "الفرق الكلامية: المشبهة، الأشاعرة، الماتريدية".

(3) انظر: "أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي (528/3). (سياق ما روي في تكفير المشبهة).

الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون). قال ابن كثير –رحمه الله-: (عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب. وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد، والميل والجور والإنحراف. ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر) [1]. وهذا الاستعمال قد تقرر عند علماء السنة في مجال الحديث عن أسماء الله وصفاته.

ولكن الباحثَيْن الشرعيين! لم يفقها هذا فظنا (الإلحاد) يعادل: إنكار وجود الله!! وظنّا أن مناهجنا –لأجل سوء فهمهما- ترمي المخالف في باب الأسماء والصفات بالكفر !! (ص7، 32).

فحق لمناهجنا أن تقول للباحثَيْن:

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتني

أو كنتَ تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني

وعملتُ أنك جاهل فعذرتكا

المغالطة الخامسة :

قولهما تشنيعاً على مناهجنا: (وتزداد حدة التصعيد مع أقوال المخالفين فيقول –أي المنهج- "من رد نصوص الصفات أو استنكره بعد صحته فهو من الهالكين") ! (ص7).

حيث يرى الباحثان أن لا يوصف من رد نصوص الصفات الثابتة في الكتاب والسنة أو استنكرها بعد صحتها بأنه من "الهالكين"!

ولا أدري، لعلهما يريدان أن يصفه المنهج بأنه من "المفلحين" أو "الفائزين"!

---

(1) تفسير ابن كثير (280/2).

ولو عاد القارئ إلى المنهج لعلم أن الذي وصف من رد نصوص الصفات بأنه من الهالكين هو حبر الأمة وترجمان القرآن وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–، وليس مناهجنا !! وذلك في قوله عندما رأى رجلاً قد انتفض لما سمع حديثاً في الصفات استنكاراً لذلك: "ما فَرَق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه"[1].

ثم يقال بأن وصف "الهلاك" يطلق على كل من عصى أو خالف. ولو راجع الباحثان مادة "هلك" من معجم ألفاظ القرآن أو المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لرأوا عشرات النصوص تشهد لهذا. فلماذا العجب؟

المغالطة السادسة :

ينتقد الباحثان مناهجنا الشرعية بقولهم: (ويعرض –أي المنهج– بعض ممارسات المسلمين بمبالغة وتهويل تنطلق بالأخطاء إلى مستويات مشبعة بالتضليل من الطبيعي أن تربك الانضباط الشرعي للطالب مع المخالفين فيقول مثلاً: "الاحتفال بمناسبة المولد النبوي وهو تشبه بالنصارى.. فيحتفل جهلة المسلمين أو العلماء المضلون.. ويحضر جموع من دهماء الناس وعوامهم.. ولا يخلو من الشركيات والمنكرات.. وقد يكون فيها اختلاط الرجال والنساء مما يسبب الفتنة، ويجر إلى الوقوع في الفواحش.. وهو بدعة أحدثها البطالون أو شهوة نفس اغتنى لها الأكالون"). (ص7).

قلت: هذا النص المنقول من أحد مناهجنا –على ما فيه من بتر كما مضى!– لم يعجب الباحثَيْن حيث ظنوه من قبيل "التهويل" و"التضليل"! غير المطابق لواقع المسلمين. وهذا الظن دليل مؤكد على قلة اطلاعهما على أحوال كثير من البلاد الإسلامية التي تنتشر فيها مثل هذه البدع. ولو كلف الباحثان نفسيهما جهداً يسيراً لعلما أن المنهج لم يخالف الحقيقة المرة التي شهد بها العقلاء والغيورون من علماء ومفكري وأدباء الأمة الإسلامية من غير أهل هذه البلاد!. ولا بأس أن أنقل شيئاً من أقوالهم يوافق –بل يزيد!– على ما جاء في مناهجنا:

(1) وقد صحح إسناده العلامة الألباني –رحمه الله– في كتابه "ظلال الجنة" (رقم 485).

يصف المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي أحد الموالد على عهده منذ حوالي مئتي عام، فيقول: "ينصبون خياماً كثيرة، وصواوين، ومطابخ، وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أختلاط الناس، وخواصهم وعوامهم، وفلاحي الأرياف، وأرباب الملاهي والملاعيب والغوازي والبغايا والقرادين والحواة، فيملؤون الصحراء والبستان، فيطؤون القبور، ويبولون ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً.." [1].

ويصف أحمد شفيق باشا (الليلة الختامية) للمولد النبوي فيقول: "ويزدحم الناس في هذه الليلة ازدحاماً لا مثيل له لمشاهدة هذه الأذكار وسماع أناشيدها، ورؤية النيازك.. وينتهز الشباب فرصة الزحام، فيكثر الغزل بين الفتيات والفتيان، وتمشي رسائل (اللب والفستق) ونحوها بين العربات التي تحمل الجنسين، مما يجعل من الليلة مهرجاناً: حظ الفتنة فيه أكبر من حظ الدين – إن كان للدين حظ في أمثال هذه الاحتفالات–"[2]، وهذه حقيقة!، فالموالد غالباً ما تكون فرصة للتحلل من كل الضوابط والتفلت من كل القيود سواء أكانت أخلاقية أو شرعية أو حتى تنظيمية، حتى أصبحت كلمة (مولد) تطلق على المواقف التي تشيع فيها الفوضى وعدم الانضباط.

فالمولد فرصة لأن "تنتهك فيه حرمات النساء، وتشرب الخمور"، حتى إنه "أصبح مجال حياة الناس في الترويح عن أنفسهم ومكاناً للهو والرقص والغناء الساقط"[3]، وفيه "الوليات يفضن الخيرات والبركات على الناس بواسطة المصافحة والتقبيل والعناق، ويقذعن عند ذلك بألفاظ من الفحش لا يليق أن تُحكى فضلاً عن أن تسطر في الأوراق"–كمايذكر الشيخ محمد رشيد رضا–[4].

وفي أيام الربيع في الأردن يفد الزائرون إلى مزار (جعفر الطيار) "فترى الفتيات يرقصن حول المزار بأغاني مطربة ونغمات رقيقة"[5].. فليس هذا خاصاً ببلد دون آخر، بل هو موجود بصور

---

(1) نقلاً عن : هذه هي الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل، (ص61).

(2) نقلاً عن: موالد مصر المحروسة، (ص20).

(3) الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة، د. زكريا سليمان بيومي. (ص131).

(4) عن: السيد محمد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعية، محمد أحمد درنيقة (ص207).

(5) المزارات في شرقي الأردن، (ص 906).

مختلفة ودرجات متفاوتة –بحسب عادات كل بلد وتقاليده– حيثما كانت قبورية وأينما كانت موالد أو (احتفالات) أو (أعراس) للأضرحة[1].

ويقول الشيخ (المصري) علي محفوظ –رحمه الله– متحدثاً عن الموالد الكثيرة في بلاده: (وقد استمر العمل بالموالد إلى يومنا هذا، وتوسع الناس فيها، وابتدعوا كل ما تهواه أنفسهم وتوحيه إليهم شياطين الإنس والجن. ولا نزاع في أنها من البدع –ثم ذكر أسباب بدعيتها ومنها كما يقول–

وثانيها: ما تشتمل عليه هذه الموالد من المفاسد المحرمة والمكروهة. فمن المحرمة إضاعة الأموال بكثرة الوقود في المساجد والطرق وإيقاد المصابيح في الأضرحة وكل ما يرجع إلى الإسراف والتبذير، وفي الحديث "إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال" رواه مسلم. ومنها: انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها وكثرة اللغط فيها، ودخول الأطفال حفاة أو بالنعال فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر في مسجد يُعمل فيه مولد. ومنها: خروج النساء متبرجات مع اختلاطهن بالرجال إلى حد لا يؤمن معه وقوع الفاحشة. وناهيك ما يكون من البغايا وتطلبهن الفاحشة جهاراً..." [2].

وتقول الدكتورة سعاد ماهر محمد في كتابها "مساجد مصر وأولياؤها الصالحون" (44/1): (قد جرت العادة في مصر وسائر بلاد العالم الإسلامي تقريباً أن يزور الناس قبور الأهل وأضرحة آل البيت وأولياء الله الصالحين في المواسم والأعياد الدينية. وقد زاد اهتمام الناس بهذا التقليد القديم؛ حتى أن وزارة الأوقاف رأت أن تساهم بدورها في إحياء هذا التقليد. فشاركت في إحياء ذكرى أصحاب هذه الأضرحة التي يزيد عدد المشهور منها على الألف؛ بإقامة احتفالات في مواعيد معينة عرفت بالموالد).

---

(1) انظر: "دمعة على التوحيد"، (ص 87-88).

(2) الإبداع في مضار الابتداع (ص 251).

وقد ذكر تقرير الحالة الدينية في مصر الصادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية أن مولد البدوي في مصر حضره عام 1996م حوالي 3 ملايين زائر!! بخلاف غيره من الموالد الأخرى[1].

ويصف الشيخ عبدالرحمن الوكيل أحوال عبّاد القبور –من الصوفية وغيرهم- ويشير إلى جملة من صور الكفر والفجور في تلك المشاهد والموالد، فيقول: "وسل الآمّين تلك الموالد عن عربدة الشيطان في باحاتها، وعن الإثم المهتوك في حاناتها، وعن حمم الشهوات التي تتفجر تحت سود ليلاتها.. فما ينقضي في مصر أسبوع إلا وتحشد الصوفية أساطير شركها، وعبّاد أوثانها عند مقبرة يسبِّحون بحمد جيفتها، ويسجدون أذلاء لرمتها، ويقترفون خطايا المجوسية في حمأتها، ويحتسون آثام الخمر و"الحشيش"، والأجساد التي طرحها الإثم على الإثم فجوراً ومعصية، ويسمونها موالد، أو مواسم عبر وذكريات خوالد..." [2].

وسرد الكاتب أحمد منصور أقوال المؤرخين في الانحلال الخلقي عند مشهد الإنبابي .. وأن فيه من الفساد ما لا يوصف، حتى إن الناس وجدوا حول هذا المشهد أكثر من ألف جرة خمر فارغة، وأما ما حكي من الزنا واللواط فكثير لا يحصى.. حتى أرسل الله (تعالى) عليهم ريحاً في تلك الليلة كادت تقتلع الأرض بمن عليها..." [3].

أما علماء الضلال الذين أشار إليهم المنهج فإن حضورهم "لهذه الأماكن وعدم إنكارهم لما يحدث فيها، بل مشاركتهم في طقوسها في أحيان كثيرة.. فتن كثيراً من الدهماء. فمما يذكره الجبرتي بعد وصف المنكرات التي تحدث في أحد الموالد (مولد العفيفي): ".. ويجتمع لذلك أيضاً الفقهاء والعلماء... ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل ويعتقدون أن ذلك قربة وعبادة ولو لم يكن كذلك لأنكره العلماء ... فضلاً عن كونهم يفعلونه.." [4].

---

(1) انظر: "دمعة على التوحيد"، (ص 48-49) إصدار المنتدى الإسلامي، 1420هـ .

(2) هذه هي الصوفية، (ص160، 161) باختصار.

(3) انظر: السيد البدوي، ص (323-236)، وانظر: الصراع بين الحق والباطل، لسعد صادق، ص (49-50)، والألوهية في العقائد الشعبية، لعبد السلام البسيوني، ص (96-98).

(4) عن: هذه هي الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل، (ص161)، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، د. شمس الدين السلفي، ص(1004). وانظر: "دمعة على التوحيد"، (ص 161).

فما الذي يحمل هؤلاء (العلماء) على تلك الممارسات؟

يحملهم على ذلك ما يحمل غيرهم من دهماء القبوريين: فهم يرون أن ذلك من شعائر الدين، حتى إن أحد علماء الأزهر كتب مقالاً يقول فيه لمنكر وجود السيدة زينب في هذا القبر ووجود رأس الحسين في القبر المنسوب إليه: "إنك جئت تفجأ المسلمين في اعتقاداتهم المقدسة النبوية، فإنك تريد أن تطيِّر البقية من دينهم"!) [1].

وهم يعتقدون في القبور والأضرحة وأصحابها الضر والنفع، تماماً مثلما يعتقد الدهماء والعامة من القبوريين، "ويبين رشيد رضا أن الذي دفع العلماء إلى السكوت عن هذه الأمور خوفهم من الوقوع في قضية إنكار الكرامات أو الاعتراض على الأولياء الذي يخشى معه أن يلحقوا بهم الأذى والضرر"[2]، وليس أدل على ذلك من أنه "في أيام حكم السلطان المملوكي جقمق قيل لأحد العلماء أن يفتي بإبطال مولد البدوي لما يحدث فيه من زنا وفسق ولواط وتجارة مخدرات، وما يشيعه الصوفية من أن البدوي سيشفع لزوار مولده، فأبى هذا العالم أن يفتي، قائلاً ما معناه: إن البدوي ذو بطش شديد"[3]!!

فإذا كان هذا هو حال عدد من العلماء المقتدى بهم عند العامة، فماذا يُنتظر من العامة والدهماء؟" [4].

(1) مجلة المنار، ج3، م33، (ص 222).
(2) السيد محمد رشيد رضا، إصلاحاته ..، محمد أحمد درنيقة، (ص207).
(3) الأضرحة وشرك الاعتقاد، د. عبدالكريم دهينة، (ص120).
(4) "دمعة على التوحيد"، (ص164).

المغالطة السابعة :

استغرابهما لما جاء في مناهجنا من أن دول الكفر تشجع المبتدعة على نشر بدعتهم، وتساعدهم على ذلك بشتى الطرق) (ص7). حيث يريان هذا تهويلاً ومبالغة وتهويلاً!

وهذا دليل آخر يضاف إلى الأدلة الكثيرة على جهل الباحثَيْن بواقع الأمة رغم تبجحهما بادعاء الفهم وتطاولهما على مناهجنا، ولو قرآ تاريخ الفرق المنحرفة التي تنخر جسد الأمة الإسلامية لآمنا بأمانة مناهجنا في تصوير الواقع الأليم. فقد كان من مخططات الأعداء التي أصبح يعلمها صبيان المسلمين تشجيع البدع وأهلها لصرف المسلمين عن دينهم الحق الذي يعلمون خطورته. والشواهد كثيرة من قديم الزمان:

فأما الرافضة: فتعاونهم مع أعداء الإسلام قديم جداً، حتى قال فيهم شيخ الإسلام –رحمه الله–: "فقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين" [1].

"فقد شهد الناس أنه لما دخل هولاكو ملك الكفار الترك الشام سنة 658هـ كانت الرافضة الذين كانوا بالشام من أعظم الناس أنصاراً وأعواناً على إقامة ملكه وتنفيذ أمره في زوال ملك المسلمين، وهكذا يعرف الناس عامة وخاصة ما كان بالعراق لما قدم هولاكو إلى العراق وسفك فيها من الدماء ما لا يحصيه إلا الله، فكان وزير الخليفة ابن العلقمي والرافضة هم بطانته الذين عاونوه على ذلك بأنواع كثيرة باطنة وظاهرة يطول وصفها.

وقبل ذلك كانت إعانتهم لجد هولاكو جنكيز خان، فإن الرافضة أعانته على المسلمين.

وقد رآهم المسلمون بسواحل الشام وغيرها إذا اقتتل المسلمون والنصارى هواهم مع النصارى يناصرونهم بحسب الإمكان، ويكرهون فتح مدائنهم كما كرهوا فتح عكا وغيرها، ويختارون إدالتهم على المسلمين حتى إنه لما انكسر المسلمون سنة غازان[2] سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وخلت الشام من جيش المسلمين عاثوا في البلاد وسعوا في أنواع الفساد من القتل وأخذ الأموال، وحمل راية الصليب، وتفضيل النصارى على المسلمين، وحمل السبي والأموال

---

(1) منهاج السنة، (110/4).

(2) هو أخو خدابنده، من أحفاد جنكيز خان ملك الترك الكفار المسمون بالتتار، أما الواقعة التي يشير إليها شيخ الإسلام فانظر تفاصيل أحداثها في البداية والنهاية لابن كثير: (6/14).

والسلاح من المسلمين إلى النصارى بقبرص وغيرها، فهذا وأمثاله قد عاينه الناس، وتواتر عند من لم يعاينه"[1].

وإلى اليوم يجري الأثر الرافضي في أرض المسلمين فساداً من دولة الآيات في إيران، ومن منظماتهم في لبنان[2]، وفي خلاياهم في دول الخليج وغيرها.

ويذكر إحسان إلهي ظهير –رحمه الله– أن انفصال باكستان الشرقية كان وراءه الكيد الرافضي، حيث قال: "وهاهي باكستان الشرقية ذهبت ضحية بخيانة أحد أبناء "قزلباش" الشيعة يحي خان في أيدي الهندوس"[3].

وقد عارض شيوخ الشيعة في باكستان تطبيق الشريعة الإسلامية[4]؛ لأنها تحد من شهواتهم التي يمارسونها باسم المتعة، وتعاقبهم على جرائمهم التي يستسهلون ارتكابها بحجة أن حب علي لا تضر معه سيئة[5].

كذلك لا ينبغي أن ينسى أثر الدولة الصفوية الشيعية في حروبها لدولة الخلافة الإسلامية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها بناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس، مع محاربتهم للسنة أهلها[6].[7]

---

(1) منهاج السنة، (244/3). وانظر: "أصول مذهب الشيعة الإمامية" للدكتور ناصر القفاري (466/3- 1467) وللزيادة في معرفة تفاصيل معاونة الرافضة للتتار : انظر رسالة "كيف دخل التتر بلاد المسلمين" للشيخ سليمان العودة.

(2) انظر: أمل والمخيمات الفلسطينية للدكتور محمد الغريب.

(3) الشيعة والسنة : (ص 11).

(4) انظر: مظالم الشيعة: (ص9-10)، وقد قال زعيم الشيعة مفتي جعفر حسين في مؤتمر صحفي بأن الشيعة يرفضون تطبيق الحدود الإسلامية لأنها ستكون على مذهب أهل السنة. (الأنباء الكويتية في 1979/5/1م).

(5) انظر: "أصول مذهب الشعية" للقفاري (1468/3 – 1469).

(6) انظر تفصيل ذلك في: تاريخ الصفويين (ص 93) وما بعدها، وانظر: حاضر العالم الإسلامي للدكتور جميل المصري: (ص 117).

(7) قلت [سليمان]: ومن قبيل المصادفة الحسنة أنني اطلعت على وثيقة برتغالية تثبت تفاصيل مخطط للرافضة مع البرتغال لاقتسام العالم الإسلامي!! ولكنها باءت بالفشل. انظر مجلة عالم المخطوطات والنوادر، (المجلد الخامس: العدد الأول، ص 258 وما بعدها)، مقال بعنوان: "ثلاث وثائق برتغالية عن خطة للاستيلاء على العالم العربي في مطلع القرن السادس عشر" للأستاذ عبدالرحمن الشيخ.

وأما الصوفية: فذكر الجبرتي في تاريخه: أن نابليون بونابرت سأل الشيخ البكري عن عدم إقامة المولد النبوي بعد احتلال القاهرة، فاعتذر الشيخ البكري بتعطيل الأمور، وتوقف الأحوال، فلم يقبل نابليون ذلك وقال: لابد من ذلك! وأعطاه ثلاثمائة ريال فرنسي معاونة منه في إقامة هذا المولد، وأمر بتزيين البلد كالعادة، واجتمع الفرنسيون يوم المولد، ولعبوا ميدانيهم، وضربوا طبولهم ودبادبهم(1)

بل أعادوا المولد الحسيني، وكانوا يجبرون الناس ويقهرونهم على الاحتفال بهذه الموالد، ويغرمون من يأبى أن يحتفل بها(2) !

والسبب ما رآه الفرنسيون في هذه الموالد "من المخروج عن الشرائع، واجتماع النساء، واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات"(3).

لقد أدرك الفرنسيون ما يقع بسبب هذه الموالد من سلبيات، وما تستنفذه من جهود وأموال، وتشغله من أوقات وتفكير، وما في ذلك من صرف للناس عن جهاد المحتلين ومقاومتهم. وهو ما لم يدركه الكثير من العلماء ممن شجعوا تلك الموالد، أو حتى غضوا الطرف عنها.

ولا شك أن الفرنسيين أدركوا ما لتلك الموالد من مكانة عظيمة في حياة الناس، لذا سارعوا بإعادتها، حتى يلهّوا الناس بها، وتعود الأمور إلى مجاريها، وكأن شيئاً لم يحدث، ويغلقوا على أنفسهم باباً واسعاً من أبواب الثورة.

"وأخذ الفرنسيون يفكرون فيما يغطون به سخط الشعب المصري، ويقرب قلوب الناس إليهم، فرأوا أن من أجدى الوسائل التي قد تؤدي إلى ذلك إحياء الموالد، كما كانت في سالف الأيام"(4).

---

(1) تاريخ الجبرتي (201/2).

(2) السابق (242/2).

(3) المصدر السابق (306/2).

(4) تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول (161) حسن السندوبي. مطبعة الاستقامة. 1367هـ-1948م.

انظر: "الانحرافات العقدية.." للزهراني، (ص 380).

-وفي رسالة للمارشال"بوجو" أول حاكم فرنسي للجزائر إلى شيخ الطريقة التيجانية، ذات النفوذ الواسع جاء فيها: إنه لولا موقف الطريقة التيجانية المتعاطف!! لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المفتوحة حديثاً أصعب بكثير مما كان"[1].

وكان شيوخ الطرق الخونة يقومون بكتابة عرائض بتوقيعاتهم وتوقيعات أتباعهم، يملؤونها بالثناء والشكر لفرنسا، التي كانت تعتبرهم ممثلين للشعب، ولا غرابة بعد ذلك أن يقول الحاكم الفرنسي في الجزائر: إن الحكومة الفرنسية تعظم زاوية من زوايا الطرق أكثر من تعظيمها لثكنة جنودها وقوادها، وأن الذي يحارب الطرق إنما يحارب فرنسا!! [2].

وأما الإسماعيلية فلهم نشاط سياسي ضخم، حيث وقفوا في أفغانستان مع المستعمر الروسي، ومدوا له يد العون، فكان لانتشارهم في ثلاث أماكن هي (ولاية بغلان) و(لسان واخان) و(مديرية شمالي في ولاية بروان قرب كابل) فرصة سانحة لذلك المستعمر، يقول "سيد منصور" قائد قفرقة الإسماعيلية ببغلان في مقابلة له في شريط فيديو: إن هذه الحرب في مصلحتنا 100%، كما أنه اعترف أن له صداقة حميمة مع روسيا، ومع حكومة كابل الشيوعية، كما اعترف بتلقي مساعدات، وإمدادات عسكرية من الروس. ولقد لاحظ المراقبون عقب الانسحاب الروسي الدعم والمساندة من قبل الدبلوماسية البريطانية والأمريكية للإسماعيلية المنتشرة في أفغانستان بغية ربطها بإسماعيلية باكستان لتهيئة الأجواء لتأسيس دولة إسماعيلية[3].

وأما الباطنية: فيقول الدكتور محمد أحمد الخطيب في كتابه "الحركات الباطنية في العالم الإسلامي" (ص 446): "وكان أكثر عوناً للصليبيين وأشد خطراً على كل محاولة إسلامية لقتالهم، فرقة الحشاشين الذين عرفوا بالقتل والتدمير، وأصبحوا أداة غادرة بيد الصليبيين موجهة ضد المسلمين.

---

(1) التيجانية: علي بن محمد الدخيل الله (ص61) دار طيبة – الرياض.

(2) الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا ص 51، ص 52 أنور الجندي – الدار القومية للطباعة والنشر/ القاهرة 1385هـ. نقلاً عن "بدع الاعتقاد" للشيخ محمد حامد الناصر (ص 311).

(3) انظر: مجلة البيان، عدد 29، ذو القعدة 1410هـ، ص 78-84 و"الإسماعيلية المعاصرة" للأستاذ محمد الجوير، (ص149-150).

فكانوا بما أقدموا عليه من اغتيالات ضد القادة المسلمين، موضع ترحيب وتقدير من قبل الصليبيين بعد أن وجدوا فيهم ضالتهم المنشودة، فسارعوا للتحالف الوثيق معهم، وكان هذا التحالف واضحاً عندما زحف المسلمون على الصليبيين حتى بلغوا طبرية في فلسطين بقيادة مودود وطغتكين سنة 1113م، فأغضب هذا الباطنية، فعملوا على قتل مودود بينما كان يدخل المسجد الكبير لتأدية صلاة الجمعة، فطعنه أحد الباطنية بخنجر فلقي مصرعه. وهكذا تخلص الفرنج من عدو لدود لهم، بمصرع مودود على يد الباطنية.

وزاد من نفوذ الباطنية في بلاد الشام، اعتناق رضوان ملك حلب للمذهب الباطني وعطفه على أتباعه، فاستغل الباطنية تلك المكانة وأخذوا يباشرون أعمالهم الإجرامية ضد زعماء المسلمين[1]. وما اتسمت به سياسة رضوان الباطنية، أسهمت إلى حد كبير في توطيد ملك الفرنج في الشام[2].

وتوطدت العلاقات الودية بين الصليبيين والباطنية في أيام نور الدين، وصلاح الدين، اللذين عملا جاهدين على توحيد العالم الإسلامي ضد الصليبيين، فقد كانت كراهية الباطنية لنور الدين شديدة، واعتبروه عدوهم اللدود، نظرا لأن سلطانه قيد توسعهم، فحقدوا عليه وعاونوا حلفاءهم الصليبيين ضده..."الخ.

وأما القاديانية: فيقول الدكتور صابر طعيمة في كتابه "المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها" (ص 280-281): "إن القارئ لتاريخ مؤسس القاديانية يلحظ أن مؤسسها لم يكتف بما كان يقدمه للإنجليز من مساعدات وتسهيلات للتنكيل بأبناء جلدته بل تراه يقدم لنا الدليل على أنه من أسرة كان لها با ع طويل في تثبيت أقدام المستعمرين في تلك البلاد حيث يقول:

"ينبغي لي أن أقول لكم قبل كل شيء: إنني أنتمي إلى تلك الأسرة التي اعترفت الحكومة البريطانية منذ مدة طويلة بأنها صديقة ومتمنية للخير والسعادة للحكومة البريطانية من الدرجة الأولى[3]، وكان والدي وأفراد أسرتي كلهم من راغبي الخير للحكومة البريطانية العظمى بكل

---

(1) الحركة الصليبية / د. سعيد عاشور ج 1 (ص555).

(2) تاريخ الحروب الصليبية / ستيفن رسيمان مجلد 2 (ص206).

(3) يقول "نكلسون" إن في قاديان تسكن هذه الأسرة التي وجدنا فيها دون جميع الأسر: الوفاء للإنجليز!

جوارحهم، وأوفياء مخلصين لها من صميم قلوبهم كما اعترف بذلك مسؤلو الحكومة الإنجليزية المحترمون، وصرحوا بأن هذه الأسرة من مريدي الحكومة البريطانية العظمى. وهذه الاعترافات كلها مسجلة في الوثائق الرسمية.

لذلك أعمل بحرارة قلبي في خدمة هذه الحكومة وأعلن عن منافع هذه الحكومة وإحسانها أمام الناس كما عمل من قبل أبي وأخي، وأفرض عليهم الخضوع لهذه الحكومة وطاعتها طاعة كاملة"[1].

ويقول في موضع آخر:

"إنني أنتمي إلى تلك الأسرة التي تتمنى للحكومة البريطانية كل الخير والسعادة. لقد كان والدي –مرزا غلام مرتضى– رجلاً وفياً صديقاً محباً مخلصاً للحكومة البريطانية. لقد خصصت له الحكومة كرسياً للجلوس في كل الحفلات الرسمية إلى جانب الحاكم البريطاني. فلقد ساعدهم والدي مساعدة كبيرة في قمع تمرد 1857م –يقصد الثورة الوطنية الكبرى ضد الإنجليز– ومدهم بخمسين فارساً مسلحاً لضرب الثوار. ولذلك تدفقت على والدي رسائل الشكر والامتنان من قبل الحكام. وكذلك ساندهم والدي في المعارك الأخرى التي خاضها المتمردون –يقصد الأحرار الوطنيين– ضدهم[2].

إن والده لم يكتف بأن يكون سلبياً ضد هؤلاء الغزاة، ويجلس في بيته ويغلق عليه بابه، بل فعل ما لم يفعله أحد قبله أو بعده، لقد ترك أبناء جلدته يحاربون العدو، وأخذ في طعنهم من الخلف بغية فتح الطريق على جثث هؤلاء المجاهدين إلى داخل البلاد.

إن هذا الرجل الخائن لنفسه أولاً ولدينه ثانياً ولوطنه ثالثاً كان يجب أن يلقى جزاءه، ولكن أسياده الإنجليز –على ما نعتقد– حالوا بينه وبين غضبة الثوار.

وإذا كان الأب يفعل ذلك –فالابن كما يقال سر أبيه–

نقول إذا كان الأب باع بلاده للمستعمرين نظير ثمن بخس دراهم معدودة، فإن ابنه لم يكتف بذلك بل باع لهم دينه –حتى ينال حظوة كبرى وأموالاً عظيمة..؟؟

(1) الرسالة التبليغية لمير قاسم علي القادياني (7/8-11).

(2) كتاب البرية – الإعلان بتاريخ 1897/9/20، (ص2).

يقول : "لما توفي والدي ناب عنه أخي الكبير مرزا غلام قادر في خدمة الحكومة البريطانية، فشملته الحكومة هو الآخر بعنايتها وإكرامها وفضلها وجوائزها كما صنعت من قبل مع والدي..." الخ كلامه[1].

وأما الأحباش: فلينظر ما كتبه عنهم الدكتور سعد الشهراني في أطروحته "فرقة الأحباش: نشأتها، عقائدها، آثارها". (المطلب الرابع: من يدعم الأحباش؟).

والأدلة والشواهد كثيرة جداً جداً قديماً وحديثاً لا يجهلها إلا مكابر أو محسن الظن بأهل البدع. وما أحوال العراق الآن عنا ببعيد.

المغالطة الثامنة :

زعمهما أن ذكر المناهج لشيء من جهود الصحابة –رضي الله عنهم– والتابعين وأئمة المسلمين في مواجهة البدع والانحرافات الطارئة على الأمة (شديد الخطورة على نفسية الطالب حيث قد يوحي بتأييد ضمني لما انطوت عليه من ظروف شائكة يصعب عليه فهم دقائقها وضوابط التعامل معها، الأمر الذي قد يؤدي إلى انهيار حرمة الدماء والنفوس من وجدان الشاب فيشعر بهوان النفوس ومشروعية القتل وإزهاق الأرواح)!! (ص8). هكذا قالوا !

فتأمل –رعاك الله– أسلوب الباحثَيْن التهويلي ضد المناهج! حيث أن مجرد ذكر تلك الجهود يؤدي إلى القتل وإزهاق الأرواح الذي لم نجده سوى في أذهان الباحثَيْن وظنهما السيئ بمناهجنا التي تناقض قولهما أشد المناقضة.

ومن طالع ما ذكرته في المقدمة عن موقف مناهجنا من قضية التكفير يجد أنها أقامت حواجز منيعة أمام من يريد أن يستحل أموال الناس ودماءهم بما لا تجده عند غيرها.

ويكفي لتأكيد هذا والرد على الباحثَيْن وظنهما السيئ أن هذه المناهج منذ وضعت –ولله الحمد– لم نسمع بمن قتل أو أهريق دمه متكئاً قاتله على مناهجنا. أتدري لماذا؟ لأن مناهجنا –كما سبق– تربي الشاب على أن يحكم تصرفاته كلها بالكتاب والسنة، وتحذره أشد الحذر من

---

(1) وانظر للزيادة: رسالة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل "الإيضاحات الجلية في الكشف عن حال القاديانية".

تجاوزهما تحت أي مسوغ، وتحوط أعراض الناس ودماءهم بسياج منيع من المحاذير. بينما في المقابل نجد أن الدول التي أعرضت عن المناهج الشرعية ولم يتلق شبابها المنهج الصحيح في مسائل الإيمان والكفر قد وقعت فيها الحوادث الشنيعة من اغتيالات وإزهاق أرواح؛ لأن شبابها لما لم يجدوا من يبصرهم بالحق في تلك المسائل لجأوا إلى عقولهم وفهومهم أو إلى من يغرر بهم؛ فتعدوا حدود الله وتجرؤا على دماء الناس .

كما قيل:

إذا جلس الأكابر في الزوايا فمن يثني الأصاغر عن مراد

فمن الذي قتل محمد حسين الذهبي وزير أوقاف مصر ؟!

ومن الذي قتل فرج فودة في مصر ؟!

ومن الذي قتل ناجي العلي في لبنان ؟!

ومن الذي قتل صبحي الصالح في لبنان ؟!

ومن الذي قتل حسن خالد في لبنان ؟!

ومن الذي قتل عبد الرحمن الشهبندر في سوريا ؟!

ومن.. ومن.. الأمثلة كثيرة أظنها لا تخفى على الباحثَيْن. فهذه نتيجة واحدة من نتائج تخفيف المناهج واختزالها في تلك الدول وابتعادها عن منهج أهل السنة والجماعة. فهل من معتبر ؟!

المغالطة التاسعة :

اعتراضهما على مناهجنا في تقيمها الولاء والبراء بالنسبة للآخرين ثلاثة أقسام: من يوالى ويحب جملة وهو المؤمن، ومن يحب من وجه ويبغض من وجه وهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيحب ويوالى على قدر ما معه من الخير، ويبغض ويعادى على قدر ما معه من الشر والمخالفات. ومن يُبغض جملة وهو الكافر.

فظن الباحثان -بعد أن ذكر القسم الثاني بتحريف!- أنه يؤدي (إلى تعميق الكراهية ضد المسلم المقصر)! (ص9) وكان المفترض -حسب قولهما- (بث الروح الإسلامية وتأكيد الأخلاقيات النبوية مع المقصر)! (ص9).

قلت: التقسيم السابق هو ما دلت عليه النصوص الشرعية و(اتفق عليه أهل السنة والجماعة) [1] -كما يقول شيخ الإسلام الذي كثيراً ما يحرف الباحثان أقواله ويحملانها على غير محملها-، وليس هو من اختراع مناهجنا. وأدلته كثيرة لا أظنها تخفى على الباحثَيْن الشرعيين! وهي قائمة على العدل مع الجميع كما قال تعالى (**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**).

والمؤلم أن الباحثَيْن في محاولتهما التشنيع على مناهجنا قاما بحذف عدة كلمات رأيا أنها ستعارض ما يريدان إيصاله للقارئ!

فقد نقلا أن المناهج تقول (العصاة أصحاب الكبائر من المؤمنين.. فيوالون لما فيهم من الإيمان، ويعادون لما فيهم من المعاصي.. وهجرهم إذا كان في هجرهم ردعاً لهم وتوبيخاً).

وعبارة المناهج بالنص هي (يبقى معنا صنف ثالث وهم العصاة أصحاب الكبائر من المؤمنين الذين فيهم إيمان وفسق، أو قد يكون معهم إيمان وكفر أصغر لا يخرج من الملة، ما حكمهم في هذا الباب؟

الجواب: أن هؤلاء تجتمع في حقهم الموالاة والمعاداة، فيوالون لما فيهم من الإيمان، ويعادون لما فيهم من المعاصي، مع مناصحتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وهجرهم إذا كان في هجرهم ردعاً لهم وتوبيخاً).

فلماذا حذف الباحثان ما تحته خط ؟! لعل القارئ أدرك أن هذا الحذف (متعمد) في محاولة فاشلة للتشنيع على مناهجنا بأنها لا تبادر أهل الكبائر -ممن يدافع عنهم الباحثان!- بالمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما تريد إيهام القارئ أن العلاج فوراً هو الهجر! مع أن المناهج تدرجت في التعامل مع أصحاب الكبائر -فيما فيه مصلحة لهم وفيما يعود عليهم

---

(1) الفتاوى (209/28).

بالنفع وسلوك الصراط السوي الذي يجعلهم من المفلحين دنياً وأخرى- فابتدأت بمناصحتهم؛ وهي من أنواع الرفق، ثم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بشروطه المعروفة عند أهل السنة التي من ضمنها الرفق، ثم إذا لم تنجح تلك العلاجات فإن آخر الدواء الهجر بشرط أن يكون (في هجرهم رادعٌ لهم) –كما يقول المنهج- أما إن لم يكن في الهجر مصلحة فإنه لا يلجأ إليه –كما بين ذلك العلماء-[1].

المغالطة العاشرة :

وهذه من أعجب المغالطات! إذ كيف يتصور عاقل أن مسلماً صادقاً يعيب مناهجنا بأنها تحارب الشرك الأكبر وتصف مرتكبه بالكفر والضلال؟! متناسية قوله تعالى (**إن الله لا يغفر أن يشرك به**) وتشنيعه عليه وعلى أهله في آيات الكتاب العزيز .

فقد عاب الباحثان مناهجنا قولها (إن ما ينذره جهلة المسلمين من نذور للأولياء والصالحين من أموات المسلمين؛ كأن يقول يا سيد فلان إن رزقني الله كذا أجعل لك كذا.. فهو شرك أكبر).

قلت: أسقط الباحثان -كما سبق في التنبيهات- مكان النقط عبارة (فهو نذر لغير الله وعبادة حرفت لغيره تعالى) ! فلماذا ؟ ألأجل أنه يوضح للقارئ أن سبب الحكم على هذا النذر بأنه شرك أكبر أنه نذر وعبادة لغير الله تعالى؟! وهل الباحثان يشكان في هذا الأمر العظيم؟!

ويتألم الباحثان بسبب أن مناهجنا تصف مرتكب الشرك الأكبر بأنه (حلال الدم والمال)! متناسية أن هذا حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وليس حكم مناهجنا!. قال سبحانه (**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد**)

---

(1) انظر على سبيل المثال: "فتاوى الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله- (35/1 وما بعدها)، ورسالة "هجر المبتدع" للشيخ بكر أبو زيد، (ص 40-47).

تنبيه: لمز الباحثان رسالة الشيخ بكر أبو زيد السابقة في (ص7 من بحثهما) بأنها (تفتقر إلى الحد الأدنى من قواعد العدل وأخلاق الاختلاف المقررة في الشريعة... الخ سخافاتهما)!! ومن يطالع رسالة الشيخ بكر يعلم أنها تلخيص مفيد لمذهب السلف في التعامل مع أهل البدع؛ وهي موثقة بنصوص الكتاب والسنة التي لا يريد الباحثان –إلى الآن- مواجهتها ! "وإن غداً لناظره قريبُ" !

وقال (**قاتلوا المشركين كافة**)، وقال صلى الله عليه وسلم: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم" رواه أحمد وأبو داود، وقال: "قاتلوا من كفر بالله" رواه مسلم. وغير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على هذا الحكم المعلوم من الدين بالضرورة.

المغالطة الحادية عشر :

يلوم الباحثان مناهجنا حكمها على الدعوة القومية المضادة للإسلام بأنها (دعوة جاهلية إلحادية، تهدف إلى محاربة الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه) أو أن (الفكر القومي يسقط الدين من اعتباره.. بل إنه يعتبر الدين عائقاً في سبيل القومية) أو أن (الانتماء للأحزاب الجاهلية والقوميات العنصرية كفر وردة عن دين الإسلام).

أقول: هذا تسطيح وسوء فهم، وهذه المغالطة تشهد أن الباحثَيْن يجهلان واقع الفكرة القومية التي تحدثت عنها مناهجنا[1]! ولهذا لم يريا فيها إلا أنها "تمتن الروابط القومية وما يتبع ذلك من تبادل اقتصادي ومواقف سياسية.. الخ مديحهما! (ص10).

ولو كلف أحدهما نفسه جهداً يسيراً بمراجعة أطروحات وأقوال سدنة (القومية العربية) في البلاد الإسلامية لوجودها خير دليل على ما جاء في مناهجنا حول فكرتهم الجاهلية، ولما وقعوا في هذا الجهل المبين. وسأكتفي بمقولات من يسمى "فيلسوف العروبة"[2] ساطع الحصري: الذي يقول: (إن الرابطة الوطنية والقومية يجب أن تتقدم على الرابطة الدينية) [3] ويكتفي الحصري – كما هو معلوم لكل مطلع على تراثه– "باللغة والتاريخ المشترك" في أركان قوميته المزعومة؛ أما

---

(1) وهي القومية التي يقول عنها جورج كيرك مؤلف كتاب "موجز تاريخ الشرق الأوسط": "إن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني" !! (انظر: مذاهب فكرية معاصرة؛ لمحمد قطب، ص585).

(2) انظر ترجمته وشهرته بهذا اللقب: "موسوعة أعلام العرب المبدعين"! لخليل أحمد خليل (340/1-345)، و"ساطع الحصري: ثلاثون عاماً على الرحيل"، مركز دراسات الوحدة.

وانظر لنقد أطروحته الوثنية: رسالة "فكرة القومية العربية في ضوء الإسلام" للشيخ صالح العبود، " والقومية في ميزان الإسلام" لعبد الله علوان –رحمه الله–، و"جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام" للأستاذ أنور الجندي –رحمه الله– (ص 151-159).

(3) الأعمال القومية لساطع الحصري (74/2). إصدار مركز دراسات الوحدة العربية.

الدين (أي الإسلام!) فإنه في نظر الحصري يتعارض مع فكرته القومية. يقول الحصري: (إن الرابطة الدينية وحدها لا تكفي لتكوين القومية)[1].

ويرى أن الإسلام من ضمن الأديان الأممية التي تتعارض مع القوميات[2]. ولهذا فإنه يرى الرابطة الإسلامية من ضمن العراقيل في طريق قوميته الجاهلية. يقول الحصري: (إن فكرة القومية العربية صادفت في طريق سيرها وانتشارها عراقيل كثيرة. وعقبات خطيرة، وقد تغلبت على الكثير منها منذ بداية القرن الحالي: فإنها اخترقت أولاً السد المنيع الذي تكون من امتزاج فكرة الجامعة العثمانية بمعنوية الخلافة الإسلامية. وهي على وشك الانتهاء من التغلب على العقبات التي تعترض طريقها باسم الرابطة الشرقية من ناحية. والرابطة الإسلامية من ناحية أخرى) [3].

قلت: ولهذا فقد تقرر عند عقلاء الباحثين الذين يفهمون الأشياء على حقيقتها أن دعوة الحصري القومية دعوة علمانية تتعارض مع الإسلام، بل تعاديه وتقاومه وتحاول زحزحته عن قيادة الأمة بأن يبقى مجرد دين روحي كالنصرانية.

تقول الباحثة السوفيتية الدكتورة تيخونوفا في دراستها التي استمرت عشر سنوات عن فكر ساطع الحصري: "لقد كان الحصري علمانياً منذ البداية"[4].

وتقول: "كان قول الحصري بوحدة التاريخ يتطلب منه منطقياً فصل تاريخ العرب عن تاريخ الإسلام"[5]. وتقول أيضاً: "وعني الحصري بإثبات أن فصل الدين عن الدولة نتيجة قانونية وحتمية لتطور المجتمع".[6] وتقول أخيراً: "لقد جاء فهم الحصري للحركة القومية العربية على أنها حركة سياسية بطبيعتها، وبالتالي غير مرتبطة بالدور الأساسي للعامل الديني، إنجازاً هاماً للفكر الاجتماعي العربي، ساعد على توطيد المنحى العلماني في سيرة العرب نحو وحدتهم القومية"[7].

---

(1) السابق (28/1).

(2) السابق (23/1-24). وانظر: "الفكر العربي في عصر النهضة" لألبرت حوراني، (ص374).

(3) اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية، للحصري، (ص 229).

(4) "ساطع الحصري رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي" (ص51).

(5) السابق، (ص53). قلت: ولذلك فهو يمجد تاريخ الجاهلية قبل الإسلام! انظر "أعماله القومية" (206/2).

(6) السابق، (ص55).

(7) السابق، (ص98).

أما الأستاذ شاكر اليساوي في كتابه "دعاة الفكر القومي العربي"[1] فيقول بصراحة: "أما علاقة الدين بالقومية فقد كانت في فكر الحصري علمانية؛ لأن القومية نفسها فكرة علمانية".

أما الشيخ محمد الغزالي –الذي أظنه محل تقدير عند الباحثَيْن– فقد حكم على القوميين بأنهم "ملحدون يجاهرون بالكفر"[2] !! والأمثلة كثيرة.

فمن نصدق بعد هذا: أصحاب الشأن من سدنة القومية وعقلاء الباحثين أم من يفهم الأمور بسطحية تامة تؤدي به إلى ظلم مناهجنا والافتراء عليها؟! [3].

المغالطة الثانية عشر :

قولهما: (بل يتجاوز الأمر التصعيد مع القومية العربية، إلى تصوير النزعة الوطنية كعقوبة لأي مجتمع يرتد عن الإسلام كما يقول المقرر "العالم الإسلامي أصبح بعد ما غزته أوروبا سياسياً وثقافياً، يخضع لهذه العصبيات الدموية، والجنسية، والوطنية.. والواجب أن يعلم أن هذه الحزبيات عذاب بعثه الله على من أعرض عن شرعه وتنكر لدينه") (ص11).

قلت: في كلام الباحثَيْن سوء فهم وتحريف لما جاء في المنهج ابتغاء التهويل والتشنيع!

أما سوء الفهم: فهو أن الباحثَيْن لم يفهما الدعوة (الوطنية) التي يتحدث عنها المنهج وظنوها مجرد محبة الإنسان للبلد الذي ولد وعاش فيه، دون أن يتعارض ذلك مع الإسلام! [4] فهم في وادٍ والمنهج في وادٍ آخر؛ لأن المنهج يتحدث عن دعوة حزبية جاهلية علمانية تتعارض مع الإسلام وتنابذه كشأن أختها القومية، وتهدف إلى حصره في دائرة العبادات —كما دعت إليه مثيلاتها في الغرب–. حتى قال أحد أساطينها[5] "الدين لله والوطن للجميع".

---

(1) (ص17).

(2) "مع الله"، (ص254) نقلاً عن "نقد القومية العربية" للشيخ ابن باز –رحمه الله (ص56). فهل يقول الباحثان في حكم الغزالي ما قالاه في مناهجنا ؟!

(3) تنبيه: بينت مناهجنا حقيقة القومية وأنها مصادمة للإسلام في منهج الحديث للصف الثاني الثانوي (ص204-206). ولكن الباحثَيْن اللَذْين سلطا عين السُخط في مناهجنا لم يريا هذا !

(4) وهي التي ألف لأجلها الدكتور زيد الزيد كتابه: "حب الوطن من منظور شرعي"، وكذا الدكتور سليمان الحقيل كتابه: "الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام".

(5) وهو سعد زغلول. انظر "واقعنا المعاصر" لمحمد قطب، (ص 321).

هذه الوطنية الحزبية التي أراد لها أصحابها أن تكون بديلاً عن الدين الذي نحي جانباً. حتى قال شاعرهم محيياً وطنه:

ولو أني دعيتُ لكنتَ ديني

عليه أقابل الحتم المجابا

أدير إليك قبل البيت وجهي

إذا فهتُ الشهادة والمتابا !

أو قوله :

وجه الكنانة ليس يُغضب ربكم   أن تجعلوه كوجهه معبودا !

ولوا إليه في الدروس وجوهكم   وإذا فرغتم فاعبدوه هجودا !

إن الذي قسم البلاد حباكم   بلداً كأوطان النجوم مجيدا

هذه الوطنية -أو قل الوثنية- التي جعلت الكافر قريناً ومساوياً للمسلم بدعوى "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"[1]، بل تطور الأمر -والعياذ بالله- حتى حكم بعض العصريين لأبناء وطنه من الكفار أنهم من أصحاب الجنة !!.

وانظر -غير مأمور- لتأكيد هذا والرد على دعاة الوطنية الجاهلية كتاب "مذاهب فكرية معاصرة" وكتاب "محمد عمارة في الميزان"، ورسالة "نظرات شرعية في فكر منحرف -6-".

---

(1) وهو حديث باطل لا أصل له؛ كما بين هذا العلامة الألباني في "السلسلة الضعيفة" (222/3) وأشار إلى انتشاره بين العصريين، ورد عليهم ببيان مخالفة هذا الكلام الباطل لنصوص الشريعة الممايزة بين أصحاب الجنة وأصحاب السعير.

المغالطة الثالثة عشر:

ويواصل الباحثان استعراض جهلهما المزري بحقيقة الأفكار المعاصرة عندما تعجبا من وضع مناهجنا "الرأسمالية" ضمن المذاهب الكفرية! لأنها -أي الرأسمالية- في ذهنهم القاصر تعتبر مجرد "نظرية اقتصادية تقوم على فكرة الملكية الفردية لوسائل الإنتاج، وتحرير الأسواق وغيرها... الخ" (ص11)

قلت: هذه نظرة سطحية للرأسمالية اغترت بقشورها ولم تغر إلى لبها الذي هو عبارة عن عقيدة وأيدلوجية لها نظرتها الخاصة التي أنتجتها أحداث الصراع مع الكنيسة[1] والقائمة على الحرية المطلقة وعلى "فصل الدين عن الحياة"[2] كما يقول الدكتور محمود الخالدي. ويقول -أيضاً-: "إن الناس في أوربا وأمريكا يؤمنون بالرأسمالية كعقيدة ونظام للحياة، بمعنى أنها صارت ديناً ينتحله النصارى، ورأوا في العقيدة الرأسمالية أنها جاءت ناسخة لدين السيد المسيح عليه السلام. ومفهوم العقيدة أنها وجهة نظر كلية في الكون والإنسان والحياة. والرأسمالية كذلك؛ لأنها تقوم على الإيمان المطلق بفصل الدين عن الحياة"[3] ويقول الأستاذ محمد عبدالرؤف: "تعد الحرية الفردية المطلقة سمة أصيلة من سمات الرأسمالية"[4].

أما الأستاذ أحمد الشيباني -رحمه الله- الخبير بالمذاهب المعاصرة فيبين وجهاً قبيحاً للرأسمالية بقوله: "أرى أن الرأسمالية هي المخطط الكامل الذي ابتدعته السلبية في العقل البشري لتنظيم وإدارة وتوجيه الغريزة البشرية في أحط أدوارها الهمجية. لذلك أعتبر الرأسمالية هي الحيوانية التي ينظمها العقل، وأنها تمثل طمعاً واعياً، ونهماً يقظاً يعرف أهدافه، ويعرف الوسائل التي يسلكها إليها، وشراهة تتغذى بالواقع، وتهتدي بنور العقل، وأثره ضيقة خانقة. إنها في اختصار أرقى الدرجات التي وصل إليها العقل الحيواني في الإنسان"[5]. ويقول بيتر إل بيرجر في كتابه

---

(1) "الاقتصاد الرأسمالي في مرآة الإسلام" للدكتور محمود الخالدي، (ص18-21).

(2) حكم الإسلام في الرأسمالية، (ص12).

(3) السابق، (ص17).

(4) تأملات إسلامية في الرأسمالية الديمقراطية، (ص66).

(5) دراسات في العقائد ..، (ص31). وانظر: "الإسلام أمام الرأسمالية والماركسية" لمعروف الدواليبي، و"معركة الإسلام والرأسمالية" لسيد قطب.

"الثورة الرأسمالية" (ص245) متحدثاً عن نظرة المسلمين للرأسمالية: "حين يُنْظر إلى الرأسمالية من منظار التقليديين، فإنها تبدو لهم عدوة؛ لكون ديناميكياتها تنسف المؤسسات التقليدية وطرق حياتها". ويقول رافي بترا في كتابه "بعد الشيوعية سقوط الرأسمالية" (ص301): "الرأسمالية ليست فقط نظاماً اقتصادياً، ولكن أيضاً نظاماً اجتماعياً واقتصادياً متواكبان..".

المغالطة الرابعة عشر :

يعيب الباحثان مناهجنا بما ورد فيها من أن: (الشرك الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب)! بدعوى أن (هذه العبارة نقلت من بعض المصادر المولودة في ظروف استثنائية ولا تصلح قاعدة عامة)! (ص12).

قلت: هذه العبارة مستفادة من كتاب الله عز وجل!! فلماذا التلبيس؟! قال تعالى (**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**).

وقال تعالى (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان**) وقال سبحانه (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**).

ومما يثير العجب أن الباحثَيْن رغم دراستهما الشرعية يخلطان بين مودة الكافر وموالاته (المحرمة) بنص الكتاب والسنة، وبين بر الكافر غير المحارب والقسط معه إليه وهو أمر مشروع لا يتناقض مع البراءة منه. ولعل هذا يضاف إلى تأثرهما بالكتب العصرية التي نسخت ما في عقولهما من عقيدة أهل السنة!

وللزيادة في معرفة حقيقة الرأسمالية: انظر: "هذه هي الرأسمالية" لفرانسوا بيرو –ترجمة محمد عيتاني. و"الرأسمالية والحرية" لميلتون فريدمان الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد –ترجمة يوسف عليان. و"دراسات في تطور الرأسمالية" للدكتور رؤف عباس حامد. و"الرأسمالية في الميزان" لجاك جرمان –ترجمة فوزي عبدالحميد. و"بعد الشيوعية سقوط الرأسمالية" للدكتور رافي بترا –ترجمة رجب بودبوس.

أما كتاب "الإسلام والرأسمالية" لمكسيم رودنسون، فكاتبه يهودي ينصح المسلمين باعتناق الاشتراكية بدلاً من الرأسمالية!

فكما حرمت النصوص الشرعية موالاة الكفار ومودتهم؛ كما في قوله تعالى (**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله**.. الآية) وقوله (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**).. إلى غيرها من الآيات[1] فإنها أجازت بر الكافر غير المحارب والعدل معه؛ كما في قوله: (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم**). ومن ذلك: الإنفاق على الكافر القريب وصلته والإحسان إليه.

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- راداً على واحدٍ من الخالطين بين الموالاة والمودة (المحرمة) وبين القسط والإحسان لغير المحارب (الجائز): " زعم آخر من دعاة القومية أن الله سبحانه قد سهل موالاة الكفار الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا، واحتج على ذلك بقوله تعالى: (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**) وهذا كالذي قبله احتجاج باطل، وقول في القرآن بالرأي المجرد، وتأويل للآية على غير تأويلها. والله سبحانه قد حرم موالاة الكفار ونهى عن اتخاذهم بطانة في الآيات المحكمات، ولم يفصل بين أجناسهم ولا بين من قاتلنا ومن لم يقاتلنا، فكيف يجوز لمسلم أن يقول على الله ما لم يقل، وأن يأتي بتفصيل من رأيه لم يدلّ عليه كتاب ولا سنة؟! سبحان الله ما أحلمه! وإنما معنى الآية المذكورة عند أهل العلم الرخصة في الإحسان إلى الكفار والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين لنا بموجب عهد أو أمان أو ذمة، وقد صح في السنة ما يدل على ذلك، كما ثبت في الصحيح أن أم أسماء بنت أبي بكر قدمت عليها في المدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهي مشركة تريد الدنيا، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أسماء أن تصل أمها وذلك في مدة الهدنة التي وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة" وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعطى عمر جبة من حرير فأهداها إلى أخ له بمكة مشرك. فهذا وأشباهه من الإحسان الذي قد يكون سبباً في الدخول في الإسلام والرغبة فيه وإيثاره على ما سواه، وفي ذلك صلة للرحم، وجود على المحتاجين، وذلك ينفع المسلمين ولا يضرهم، وليس من موالاة الكفار في شيء كما لا يخفى على ذوي الألباب والبصيرة"[2].

---

(1) انظر: رسالة الشيخ محماس الجلعود "الموالاة والمعاداة..".

(2) نقد القومية العربية، (ص 45).

المغالطة الخامسة عشر :

عدم تفريق الباحثَيْن بين التعاملات الجائزة مع الكفار وبين البراءة منهم وعدم مودتهم ومحبتهم. ولذلك فقد حشدوا نصوصاً كثيرة جاءت في المقام الأول للتدليل بها على المقام الثاني! دون فقه بمعانيها (ص12-13، 23-26)، وقد سبق في كلام الشيخ ابن باز –رحمه الله– الرد عليها والتفريق بين المقامين.

المغالطة السادسة عشر:

قولهما: (ومن نماذج تعميم أحكام المحاربين ما يقوله المقرر مثلاً: "ومحبة الله لها علامات تدل عليها.. ومنها: العزة على الكافرين) (ص13).

قلت: المنهج يتحدث عن علامات محبة الله عز وجل؛ المستفادة من آيات القرآن الكريم! ومنها ما يراه الباحثان عيباً في مناهجنا –والعياذ بالله–؛ وهو العزة على الكافرين المستفاد من قوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين..**) الآية، وقد ذكرت في المنهج! فكيف عميت عنها الأبصار؟! فإذا كان للباحثَيْن اعتراض فليعترضوا –صراحة– على كتاب الله عز وجل؟! لا أن يوهموا القارئ أن اعتراضهم ليس على النصوص والأحكام الشرعية الثابتة، إنما على المناهج .. فما هذا إلا ضحك على العقول واستخفاف بها.

المغالطة السابعة عشر :

ادعاؤهما أن الإسلام لم يأت بتفاصيل الأحكام !

يقول الباحثان: (ولما بعث الله الرسل وأنزل معهم الشرائع لم يبين فيها إلا القواعد العامة التي يحتاجها الناس في حياتهم وبعض التفاصيل الثانوية، ولم يشأ الله تعالى أن يحسم كل مظاهر الاختلاف..)! (ص14).

قلت: هذه –للأسف– مقولة جاهل بدين الله! إذ كيف يكون الإسلام –وهو محور الحديث!– لم يأت إلا (ببعض التفاصيل الثانوية)! وهو الدين الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة في حياة أتباعه إلا وجعل لها آداباً وأحكاماً تخصها.. حتى الدخول إلى الخلاء –أكرم الله المؤمنين– ؟! فكيف بغيرها من الأمور الأخرى التي هي في قياس الباحثَيْن من التفاصيل الثانوية؟ كأحكام النوم والاستئذان والسلام والعطاس والتثاؤب والأكل واللباس و.. و.. الخ، حتى عجب اليهود والمشركون من هذا الضبط التشريعي في حياة المسلمين فقال قائلهم لسلمان الفارسي –رضي الله عنه–: "إني أرى صاحبكم يعلمكم. حتى يعلمكم الخراءة. فقال سلمان: أجل. إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه أو يستقبل القبلة، ونهى عن الروث والعظام.." [1]. وهذا مصداق لقوله تعالى (**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**) وقوله (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) مع قوله (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**).

وقول الباحثَيْن السابق دليل آخر يشهد باقتياتهما من كتب العصريين التي تحاول تضييق دائرة النصوص الشرعية حتى تكاد تلغيها في مقابل ما يسمونه (المصالح) و(المقاصد الكلية للشريعة) التي احتالوا بها على قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم[2]. وقد قال تعالى (**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا**).

(1) أخرجه مسلم (262).

(2) انظر للرد على من يستعمل "المصالح" و"المقاصد" للتحايل على الشرع: رسالة: "محاولات التجديد في أصول الفقه" للدكتور هزاع الغامدي.

المغالطة الثامنة عشر:

يعيب الباحثان على المنهج الشرعي أنه (لم يعرض أصول الاختلاف وقواعد التعامل مع المخالف وعلى رأسها): (1-أن الاختلاف سنة كونية) (2-تعميق الإيمان بالتعددية) (3-نبذ الزهو المذهبي) (4-تكريس قيم التعايش). (ص14-15).

قلت: وهذه قد سبق بيان ما فيها من مغالطات؛ حيث لم يفرق الباحثان بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية. فظنوا أنه ما دامت قد وجدت في تاريخ المسلمين: الفرق المبتدعة والمنحرفة فإن الواجب علينا أن نرضى ما رضيه الله! -بزعمهم!- ولا ننكر على أحد؛ وقد سبق ما في هذا المسلك الشنيع من خطورة؛ لأنه سيؤدي -حتماً- إلى إقرار الكفر والشرك والإلحاد في ديار المسلمين أو الدعوة إلى وحدة الأديان بدعوى "التعددية"! وأن "الاختلاف سنة كونية"! إلى آخر هذه الشناعات.

ثم قال الباحثان بعد هذا: (5- عدم بخس المخالف: بما يعني الإقرار بما معه من الحق، وعدم غمطه ما معه من الصواب الذي يحمله، ذلك أن أكثر ما يقع بسببه الاختلاف هو بغي كل فريق على الآخر، ورد الحق الذي معه بسبب ما خالطه من الباطل. وكان المفترض فرز المضمون الذي يقدمه كل اتجاه، وعدم أخذه كله أو رده كله، قال ابن تيمية: "عامة ما تنازع فيه الناس يكون مع هؤلاء بعض الحق، وقد تركوا بعضه، وكذلك مع الآخرين، ولا يشتبه على الناس الباطل المحض، بل لابد أن يشاب بشيء من الحق؛ فلهذا لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، فإنهم هم الذين آمنوا بالحق كله، وصدقوا كل طائفة فيما قالوه من الحق").

قلت: لا زال الباحثان يشكان ويرتابان في صحة معتقد أهل السنة! الذي يرونه -كما هو متضح من كلامهما- مجرد "اتجاه" من ضمن اتجاهات كثيرة: رافضية وصوفية وأشعرية- قد يكون الصواب -كله أو بعضه- معها لا معه!!

فلا حيلة لنا في هذه "الحيرة" التي يعيشانها حتى لم يعودا يفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال -والعياذ بالله-. "وكل إناء بما فيه ينضح".

ولا عجب في هذا لمن عرف أحوال الباحثَيْن اللذين عكفا على كتب العصريين "المتذبذبين" فضلوا وأضلوا، ولكن العجب: نقلهما كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الآنف ظانين أنه يشهد لقولهما!!

وحاشاه من هذا

فكلامه –رحمه الله– عن اختلاف الفرق المنحرفة في كثير من مسائل العقيدة، وأن كل فرقة منها رغم انحرافها إلا أنها تصيب في بعض المسائل. أما أهل السنة –ولله الحمد– فإنهم يجمعون صواب الفرق كلها؛ لأنهم يصدرون في أقوالهم عن قول الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم الذي **(إن هو إلا وحي يوحى)**. فأنى يأتيهم الخطأ والانحراف ؟!

فالباحثان قد أتوا من قلة فهمهما لكلام الشيخ –رحمه الله–.

المغالطة التاسعة عشر :

يعيب الباحثان مناهجنا لأنها تدعو إلى ما يسمونه "الزهو المذهبي"! (14، الذي يتنقص المخالفين وأنهم ليسوا على شيء.. الخ.

والمنصف لا يجد شيئاً من هذا الإفك في مناهجنا التي لا تدعو إلى "مذهب"، إنما تدعو إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح –كما سبق في المقدمة–، وتدعو الآخرين إلى ترك ما هم عليه من بدع وانحرافات والعودة إلى الصراط المستقيم الذي ضلوا عنه. فإن كان الباحثان في شك وريب من صحة عقيدة أهل السنة والجماعة فهم أحرار في سلوك هذا الطريق، ولكن شكهم وريبهم لا يغير شيئاً من الحقيقة، فلا يلومنا الباحثان إن اتبعنا قوله تعالى **(قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا)**. فأي نعمة أعظم من الهداية للسنة؟!

وإذا لم ترَ الهلال فسلم

لأناس رأوه بالأبصار !

المغالطة العشرون :

قولهما بعدما سبق: (6- مراعاة الوسع: وذلك عبر بث الوعي بأن المعيار الشرعي هو استفراغ الوسع وبذل الجهد في الوصول إلى الحق؛ فإن نجح الإنسان في الوصول للحقيقة ضوعف له الثواب، وإن أخفق كوفئ بما بذله من الجهد. فلذلك فكافة المختلفين الذين بذلوا وسعهم دائرون بين الأجر والأجرين، ولذلك قال ابن تيمية "إذا أريد بالخطأ الإثم فليس المجتهد بمخطئ، بل كل مجتهد مصيب"). (ص15).

قلت: لا زال الباحثان يشكان في صحة معتقد أهل السنة ! ولهذا يطالبان مناهجنا بأن تعرض أقوال الفرق المنحرفة بل والمشركين! لطلاب المتوسط والثانوي! ليختاروا منها ما يرونه حقيقة !!، فيحصلوا على الأجرين! أما إن أخطؤا في الوصول للحقيقة: فأشركوا –مثلاً– أو ترفضوا أو تصوفوا أو ... فلهم أجرٌ واحد!!

لا يقولن قائل: لعلهما يقصدان المسائل الاجتهادية في الفقه. فأقول: لا تنس أن الحديث عن مقررات التوحيد!! فتأمل هذا التخبط واحمد الله أن عافاك من أحوال أهل الريب.

المغالطة الحادية والعشرون:

يستغرب الباحثان نقد مناهجنا للبدع والانحرافات العقدية التي طرأت في حياة المسلمين ولا زالت إلى اليوم، ويزعمان أن هذا من "المبالغة في تصوير الانحرافات"! (ص16-17).

وفي ظني أن هذا الاستغراب لا يصدر إلا من جاهل بواقع الأمة، وإلا لو سرح أحدهما طرفه في بلاد المسلمين لرأى من البدع العجب العجاب باعتراف الفضلاء الموفقين من أهل تلك البلدان.

وأنصح الباحثَيْن بالرجوع إلى رسالة: "الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين" للدكتور علي الزهراني.

ورسالة "دمعة على التوحيد: حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة" إصدار المنتدى الإسلامي.

وكتاب "واقعنا المعاصر" للشيخ محمد قطب؛ ولعله يتبين لهما أن عقليهما غائبان أو مغيبان عن الواقع، رغم ادعاء الفهم!

أيا من يدعي الفهم   إلى كم يا أخا الوهم

المغالطة الثانية والعشرون:

يستنكر الباحثان قول مناهجنا عن مناهج التعليم في العالم العربي والإسلامي: (أصبحت مناهج التعليم في الغالب لا تولي جانب الدين اهتماماً كبيراً أو لا تهتم به أصلاً) (ص17).

ويرى الباحثان أن في هذا مبالغة ومخالفة للواقع!!

ولا أظن القارئ –المطلع على مناهج الدول العربية– بحاجة إلى من يوضح له هذا الأمر الخافي على الباحثَيْن .

وأنصح الباحثَيْن بالاطلاع على سلسلة رسائل "الغزو الفكري في المناهج الدراسية" التي يصدرها خبير المناهج: الأستاذ علي لبن، ومقالة "المناهج بين التطوير والتدمير" في مجلة البيان (العدد129)، ومقالة "الثقافة والذوبان" في العدد (71)؛ ليزدادا فهماً بدل هذا التشنيع الساذج.

المغالطة الثالثة والعشرون:

يعيب الباحثان مناهجنا بأنها تبالغ (في تصوير الخلل والثغرات التي يرتكبها الإعلام؛ فيجعلها منسلخة عن العقيدة، منحلة الأخلاق)!! (ص17)

ويظهر أن "عكوف" الباحثَيْن على عشرات القنوات الفضائية التي تسلخ الأمة من دينها وأخلاقها قد ظهرت آثاره في قولهما السابق! وقد قيل: كثرة الإمساس تذهب الإحساس! ولو سألت أي إنسان عاقل مطلع على القنوات لأخبرك بأن مناهجنا قد قصرت في تصوير هذا العفن الذي تبثه في ديار المسلمين، فلم يعد الأمر خافياً على أحد. وما "ستار أكاديمي" عنا ببعيد!

المغالطة الرابعة والعشرون:

يستنكر الباحثان حرص مناهجنا على أن يكون "الحكم لله" وأن تبتعد الدول الإسلامية عن تحكيم القوانين الجاهلية المأخوذة من الغرب النصراني التي تعارض حكم الله. ويريان أن في هذا (تسليط الأضواء على نقاط الضعف في المجتمع، وثغرات الواقع، وعرضها بصورة مكبرة...) إلى آخر هذرهما الكلامي (ص81).

فهل نسي الباحثان قوله تعالى (**إن الحكم إلا لله**) وقوله (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**) وقوله (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**) وقوله (**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به**) .. إلى غيرها من الآيات التي تلزم المسلمين بالتحاكم إلى الشريعة الإسلامية.

فكيف يستهين الباحثان بهذا الأمر العظيم الذي صرف الأمة عن دروب العزة وجعلها مجرد تابع ذليل للكفار في شئونها؛ وعلى رأسها الحكم -إلا من رحم الله، كبلاد التوحيد التي لا زالت متمسكة- رغم أنف الحاقدين- بتحكيم الشريعة. نسأل الله أن يثبتها على هذا، وأن يوفق غيرها للعودة إلى حكم الله.

ومما يثير الدهشة: أن أحد الباحثَيْن كان من الساعين قبل سنوات في منازعة ولاة الأمر في بلادنا والتشنيع عليهم بدعوى عدم تحكيم الشريعة !! فتأمل هذا التناقض ما أعظمه ! وأسأل الله العافية والثبات.

يا أيها الرجل المعلم غيره

هلا لنفسك كان ذا التعليم !

المغالطة الخامسة والعشرون:

يرى الباحثان في الفصل الثالث من بحثهما أن مناهجنا لا تبعث الطمأنينة في نفوس الطلبة! وإنما تجعلهم قلقين من الوقوع في الشرك والنفاق مما يجعلهم يحجمون عن "المشاركة الاجتماعية"! و"الإنتاج الإجتماعي"! (ص19)

وأعترف للقارئ بعجزي عن فهم هذه "المشاركة الاجتماعية" و"الإنتاج الاجتماعي" وغيرها من الشقاشق الكلامية التي يتفيهق بها الباحثان كثيراً!

والذي أعرفه ويعرفه غيري أن أبا الأنبياء إبراهيم –عليه السلام– خاف على نفسه وبنيه الوقوع في الشرك بقوله (**واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام**). قال إبراهيم التيمي: "ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟" [1].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب –رحمهم الله–: "فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام، فما ظنك بغيره؟.. وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك، لا كما يقول الجهال: إن الشرك لا يقع في هذه الأمة، ولهذا أمنوا الشرك فوقعوا فيه"[2].

فكيف –بعد هذا– لا نخاف الشرك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"[3] ؟!

وكيف لا نخاف النفاق؟ وابن أبي مليكة –رحمه الله– يقول: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه) –كما في صحيح البخاري–[4]

قال الحافظ ابن حجر: (ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى). [5]

وكيف لا نخاف النفاق؟ وعمر –رضي الله عنه– ثاني الخلفاء الراشدين وأحد المبشرين بالجنة كان يسأل حذيفة –صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم– (أذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ذكر من المنافقين؟) [6].

---

(1) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم؛ كما في "الدر المنثور" (46/5).

(2) "تيسير العزيز الحميد"، (ص 93).

(3) أخرجه أحمد، وحسن إسناده الحافظ. انظر "فتح المجيد" (177/1) تحقيق الشيخ: الوليد الفريان.

(4) أخرجه البخاري (135/1 مع الفتح).

(5) فتح الباري (136/1).

(6) انظر: "سير أعلام النبلاء" (364/2).

وكيف لا نخاف النفاق؟ وأبو الدرداء –رضي الله عنه– كان كثيراً ما يتعوذ من النفاق في صلاته. فقال له أحد أصحابه: وما لك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟ فقال: اللهم غفراً، لا يأمن من البلاء من يأمن البلاء، والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة، وينقلب عن دينه[1].

وكيف لا نخاف النفاق؟ وقد سئل الحسن البصري: هل تخاف النفاق؟ فقال: وما يؤمنني وقد خاف عمر –رضي الله عنه–؟![2]

فمناهجنا ولله الحمد متابعة لأنبياء الله –عليهم السلام– ولصحابة نبيه صلى الله عليه وسلم في التخويف من الوقوع في الشرك والنفاق، والتحذير من إعجاب المرء بنفسه وتزكيته لها، أو وثوقه المفرط بعقله كما يريد منها الباحثان.

المغالطة السادسة والعشرون :

يعيب الباحثان مناهجنا بسبب "ضعف حضور القضايا والقيم المدنية" في موضوعاتها. (ص21).

ولا أدري ماذا يقصدان "بالقيم المدنية"! وسيأتي –إن شاء الله– في الملحق أن مناهجنا مليئة بما يتعلق بالأمور المرتبطة بحياة المسلم في الدنيا؛ إضافة إلى أمور العبادات وأمور الغيب التي هي الأهم، والأصل في وضع المناهج.

ثم أليست أمور المعاملات بأنواعها، والآداب، والسلوك، وتنظيم العلاقات بين المسلمين، وبينهم وبين غيرهم، وبين الحاكم والمحكوم.. الخ تعد من الأمور المدنية؟! [3]

أم أن الباحثَيْن يقصدان أمراً آخر –مولعان به– لم تتعرض له مناهجنا؛ هو ما يسميانه: المشاركة الشعبية والسياسية وإقامة الأحزاب والبرلمانات و..الخ ما تعلقا به من شيوخ العصرنة ؟!

المغالطة السابعة والعشرون :

---

(1) "صفة النفاق وذم المنافقين" للفريابي، (ص114).

(2) السابق، (ص119).

(3) وماذا أبقى الباحثان للمناهج الأخرى إذا كانا يطالبان المناهج الشرعية بكل هذا الكم من المعلومات؟!

يفتري الباحثان على مناهجنا أنها تدعو (إلى عدم تسمية العلماء في العلوم الإنسانية والتقنية بلقب علماء، بل يجب اعتبارهم جهال، وإنما الذي يستحق وصف عالم في نظر المقرر هو العابد فقط)! (ص22).

وهذا كذب صريح على المقرر الشرعي؛ لأن المقرر قال بالنص عن لقب "العالم": (وإنما يطلق هذا على أهل معرفة الله وخشيته؛ كما قال تعالى (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**)).

فالمنهج يقرر بوضوح أن لقب العالم يطلق على "أهل معرفة الله وخشيته" وهم العلماء الشرعيون، لا كما يدعي الباحثان ! فلماذا الكذب؟!

ولينتبه إلى أن المنهج في طرحه لهذا الأمر يهدف إلى الرد على ما اشتهر عند بعض الناس من تنزيل الآيات والأحاديث الواردة في مدح "العلم" و"أهله" على أصحاب العلم الدنيوي، وهذا خطأ بالاتفاق. لأن جميع ما ورد في النصوص الشرعية من مدح للعلم فإنما هو خاص بالعلم الشرعي. وهذا لا يمنع أن العلم الدنيوي النافع للمسلمين أمر مطلوب وصاحبه مأجور –إن شاء الله–. ولكن دون أن يلجئنا مدحه لتحريف للنصوص الشرعية.

المغالطة الثامنة والعشرون :

يدعي الباحثان خطأ مناهجنا عندما قالت عن المجتمعات الغربية: (المجتمع الذي لا تسوده عقيدة صحيحة هو مجتمع بهيمي يفقد كل مقومات الحياة السعيدة، وإن كان يملك مقومات الحياة المادية، والتي كثيراً ما تقوده إلى الدمار، كما هو مشاهد في المجتمعات الجاهلية).

يقول الباحثان: (هذه المبالغة تربك الطالب أكثر مما تسهم في تعميق إيمانه، ذلك أن ما يشاهده في الواقع هو أن الإمكانيات التي تمتلكها القوى الكبرى تمنحها المزيد من الاستقرار). (ص23).

قلت: إنما أتيتما من سوء فهمكما لمناهجنا! فالمنهج يصدر عن كتاب الله –عز وجل– الذي حكم على الكفار بأنهم (**كالأنعام بل هم أضل سبيلاً**) أي أحط وأخس من الأنعام ! ويقول فيهم (**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم**)، وأخبر أن حياتهم يسودها الضنك (**ومن أعرض عن ذكري فإنه له معيشة ضنكا**). وأخبر أن الحياة

السعيدة الطيبة هي للمؤمنين لا للكافرين (**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**)

هذا ما يقصده منهجنا: أن الكفار الذين حرموا أنفسهم من الإسلام وعبودية الله وحده خسروا الحياة السعيدة الطيبة وإن كانوا قد حصلوا (مقومات الحياة المادية)؛ لأن الله يقول عن أمور الدنيا (**كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك**). فأمور الدنيا من بذل أسبابها حصلها لا فرق في هذا بين مسلم وكافر. أما الحياة السعيدة فلا ينالها إلا المؤمن.

أما (الاستقرار الدنيوي) فلم تنفه مناهجنا –مطلقا– كما يريد الباحثان إيهامنا؛ لأنها سبق أن ذكرت بأن مجتمعات الكفار تملك (مقومات الحياة المادية) فلماذا الافتراء ؟

ورغم هذا كله فإن الله يقول: (**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)، ويقول: (**ولا يزال الذين كفروا تصيبهم قارعة بما صنعوا أو تحل قريباً من دارهم**). وما أمر الحربين العالميتين عنا ببعيد !

المغالطة التاسعة والعشرون :

يتنقص الباحثان مناهجنا أنها اشترطت شروطاً لإقامة المسلم في ديار الكفار منها: "أن يكون مضمراً لعداوتهم وبغضهم". ثم قالا –بسخرية–: (فأي أخلاق إسلامية يقدمها المقرر للطالب في هذا المقام؟! نذهب إلى الناس لنتعلم منهم، أو نتطبب لديهم، أو نبرم معهم العقود، أو ندعوهم لدينا، بشرط أن نضمر لهم العداوة !). (ص23).

قلت: ألا يعلم الباحثان أن تنقصهما هذا وسخريتهما قد أصابت كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الآمرتين بالبراءة من الكافرين؟!

ألا يعلم الباحثان أن الأصل تحريم الإقامة في ديار الكافرين؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين"[1] وقوله: "من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله"[2] وإنما جازت الإقامة في ديارهم في حالات مخصوصة وردت بها النصوص بالشروط التي ذكرها المنهج ولم تقبلها عقول الباحثَيْن!

---

(1) صحيح الجامع ، (1461).

(2) صحيح الجامع ، (6186).

ومن أعظمها: التصريح بالبراءة من الكافرين ودينهم الباطل: قال تعالى (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**).

فهل يتنقص الباحثان –أيضاً– كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي هي مصدر ما جاء في مناهجنا ؟!

الأمر خطير جداً.

المغالطة الثلاثون:

يزعم الباحثان أن مناهجنا قلقة جداً على الشباب إن هم (اكتشفوا إبداعات غير المسلمين فسينقلبون على أعقابهم وينسلخون من عقيدتهم)! (ص27).

وهذا كذب على مناهجنا؛ لأن المناهج ذكرت أن للانحراف عن العقيدة أسباباً كثيرة؛ أحدها كما يقول المنهج: (الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية، حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده، فصاروا يعظمون البشر ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده؛ كما قال قارون من قبل (**إنما أوتيته على علم عندي**) ولم يتفكروا وينظروا إلى عظمة من أوجد هذه الكائنات..). فمناهجنا تنبه الشباب إلى أن لا يغفلوا عن عظمة الله –عز وجل– حال رؤيتهم لمعطيات الحضارة المادية بل يتذكروا قوله تعالى (**علم الإنسان ما لم يعلم**).

فأي "إبداعات" لغير المسلمين لم تكتشف بعد، وهذه المناهج وهذا الواقع في بلادنا نفسها مملوء بكل مفيد منها؛ في مجال: العلوم والرياضيات والفيزياء والكيمياء والتقنية والاتصالات .. وغيرها ؟!

إلا أن يريد الباحثان بتلك "الإبداعات التي لم تكتشف" الأفكار العلمانية والإلحادية والعبثية وغيرها من الأفكار المناقضة للإسلام !

ويعلم العقلاء أن لا دخل لهذه الأفكار الجاهلية بالأمور المادية؛ لأننا نرى أن التقدم الدنيوي ليس قصراً على ديانة أو ثقافة من الثقافات؛ إنما هو مطروح للجميع مَنْ بذل أسبابه

حصله —كما سبق– فلماذا يريد الباحثان أن يستنسخا في بلادنا تجربة الغرب النصراني وصراعه مع الكنيسة؟!

ثم يكذب الباحثان على مناهجنا بأنها جعلت العلاج هو "تجاهل منجزات هذه الحضارة". والمنهج لم يقل هذا أبداً، ولكنه الكذب الرخيص. —كما سبق في المقدمة–

المغالطة الحادية والثلاثون :

يعلق الباحثان على العبارات التي ذكرها المنهج مثالاً على من يستهزئ بالدين وأهله بأنه لابد من النظر في قصده —ثم ذكرا بعض أمثلة المنهج– وقالا تعليقاً: (المعروف أن كثيراً ممن يقول هذه العبارة لا يقصد تنقص الدين) ! (ص28).

قلت: هذه سذاجة من الباحثَيْن ما بعدها سذاجة! إذ الفصل الذي جاءت فيه جميع العبارات والأمثلة عنوانه (الفصل الثاني عشر: الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته).

فجميع أمثلته يراد بها —حتماً– من يقصد الاستهزاء بالدين. أما من لم يقصد ذلك فلم يتعرض له المنهج أبداً! فلا حاجة لتفصيلكما المتكلف!

المغالطة الثانية والثلاثون :

قال الباحثان (ص29): (ومن ظواهر الاضطراب في المنهج العلمي أن المقرر عقد درساً لـ(موانع التكفير) وهي (الجهل، والخطأ، والتأويل، والإكراه) وقدم فيها مجموعة من التفصيلات والأدلة. (مقرر التوحيد–الثالث ثانوي– شرعي– 250).

إلا أنه في التطبيق العملي يتجاهل بعض موانع التكليف كالجهل والتأويل وعدم القدرة والخطأ والخوف ونحوها، إما بتصريح نظري، أو بشكل تطبيقي، مما يترتب عليه وقوع الطالب في خطر التناقض والتطبيق العشوائي لقواعد التكفير والتضليل.

فمثلاً يتجاهل المقرر عذر المخطئ بشكل موهم فيقول: "الناس قد يقعون في الشرك وهم لا يدرون").

قلت: بل الاضطراب في عقليكما ! ولو قرأتما موضوع "التكفير" الوارد في منهج الصف الثالث الثانوي –كما سبق في المقدمة– بتدبر وتروٍ وبدون عجلة! لتبين لكما أن الحكم على

فعل ما بأنه شرك أو كفر لا يلزم أن يكون فاعله مشركاً أو كافراً دون مراعاة للشروط التي ذكرها المنهج. فواعجباً كيف يجهل هذا من درس عقيدة أهل السنة وتخصص فيها سنين عدداً !

ثم إن المنهج ذكر أن (الناس قد يقعون في الشرك وهم لا يدرون) تعليقاً على أثر حذيفة – رضي الله عنه– أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحُمَّى فقطعه وتلا قوله تعالى (**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**). فلماذا لم تبينا هذا للقارئ؟!

ثم قال الباحثان (ص29): (كما يتجاهل –أي المنهج– بعض حالات عذر الجاهل فيقول ((الجهل يكون مانعاً من موانع التكفير في حالات دون حالات))".

قلت: المنهج لم يتجاهل هذه الحالات! فلماذا الافتراء ؟! لقد قال المنهج بالنص –كما سبق في المقدمة– : (والجهل يكون مانعاً من موانع التكفير في حالات دون حالات وإليك تفصيل ذلك فيما يأتي:

1– من كان حديث عهد بالإسلام أو من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان فأنكر شيئاً مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالصلاة أو تحريم شرب الخمر وكذا من نشأ في بلاد يكثر فيها الشرك ولا يوجد من ينكر عليهم ما يقعون فيه من الشرك فلا يكفرون إلا بعد أن تقام عليهم الحجة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: بعد أن ذكر بعض أنواع الشرك "... وإن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه" وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب "... وإذ كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبدالقادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم".

2– من أنكر الأمور المعلومة من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وتحريم شرب الخمر مع كونه في دارِ إسلام وعلْمٍ، ولم يكن حديث عهدٍ بإسلام فإنه يكفر بمجرد ذلك.

3– هناك أحكام ظاهرة متواترة مجمع عليها ومسائل خفية غير ظاهرة لا تعرف إلا من طريق الخاصة من أهل العلم كإرث بنت الابن السدس مع بنت وارثة النصف تكملة للثلثين. فمن أنكر شيئاً من هذه الأحكام من العامة فلا يكفر إلا بعد أن تبين له ثم يصر على إنكاره، أما من أنكرها من أهل العلم فيكفر إذا كان مثله لا يجهلها).

قلت: فأين التجاهل المزعوم ؟! (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**). بل إن المنهج يحتاط في التكفير -بوضوح- ويعذر حتى مرتكبي الشرك في البلاد التي يكثر فيها ولا يوجد أحد ينكره عليهم فتأمل.

ثم قال الباحثان (ص29): "كما يلغي –أي المنهج- عذر الخائف فيقول "ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف".

قلت: هاهنا تلبيس عجيب من الباحثَيْن لابد من كشفه! حيث حذفا عبارة المنهج ليوهما القارئ أن الخائف هو المكره !

فعبارة المنهج بتمامها: (ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره). فلماذا حذف الباحثان كلمة "إلا المكره" ؟! وهما يعلمان -حتماً- أن الإكراه غير الخوف. فالأول يُقبل عذراً في ارتكاب النواقض بخلاف الخوف الذي زعماه عذراً !

قال الشيخ صالح الفوزان —حفظه الله- في شرحه لنواقض الإسلام: "لا فرق في هذه النواقض العشرة بين الجاد.. والهازل.. أو الخائف الذي يفعل هذه الأشياء دفعاً للخوف. فالواجب عليه أن يصبر. إلا المكره: إذا أكره أن يقول كلمة فيها كفر ولم يمكنه التخلص من الظلم إلا بها. فرخص له الله في ذلك (**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**) بهذا الشرط. ويكون قصده دفع الإكراه فقط إلا أن قلبه لا يعتقد بما يتلفظ به" [1].

ثم قال الباحثان (ص29): (كما يتجاهل -أي المنهج- عذر المتأول فيوحي بإطلاق الكفر على كثير من المذاهب المخالفة).

قلت: وهذا أيضاً من الافتراء على المناهج! وإليكم ما قاله المنهج بالنص:

(التأويل: وهو صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالفه لدليل منفصل، وهو قسمان: القسم الأول: قسم يعذر صاحبه بتأويله، وهو ما كان مبنياً على شبهة، بأن كان له وجه من لغة العرب، وخلصت نية صاحبه كمن تأول في صفات الله تعالى. وكان تأويله مبنياً على شبهة وخلصت نية صاحبه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن سبب عدم تكفير الإمام أحمد

(1) شرح رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (ص237).

وغيره لمن قال بخلق القرآن بعينه: "إن التكفير له شروط وموانع وقد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه".

وقال في موضع آخر عن نفس المسألة: "فالإمام أحمد رضي الله عنه ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنه لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطاوا وقلدوا من قال ذلك لهم".

والقسم الثاني: تأويل لا يعذر أصحابه كتأويلات الباطنية والفلاسفة ونحوهم ممن حقيقة أمرهم تكذيب للدين جملة وتفصيلا أو تكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به كتأويل الفرائض والأحكام بما يخرجها عن حقيقتها وظاهرها. فهذا كفر مخرج عن الإسلام).

قلت: فإذا كان المنهج قد صرح باعتذار الإمام أحمد وشيخ الإسلام لجهلة الجهمية القائلين بخلق القرآن فكيف لا يعتذر لغيرهم من الفرق البدعية التي لم تقع فيما وقع فيه أولئك؟! فما عذر صاحبي البحث في مثل هذا الافتراء الشنيع على مناهجنا ؟!

المغالطة الثالثة والثلاثون:

يعيب الباحثان مناهجنا أنها جعلت اتخاذ "اليوم الوطني" وغيره عيداً من المحرمات؛ لأنه من التشبه بالكفار، وعندهما –كالعادة!– أن هذا (أحد نماذج التهويل الفقهي، وتضخيم الدلالات.. الخ) (ص30).

قلت: الأعياد في الإسلام عيدان، وهذا مما لا يجهله أحد. وإبرازهما لليوم الوطني مقصود. ولهذا فلن أرد عليهما بكلام العلماء الذين بينوا حرمة اتخاذ هذا اليوم عيداً. إنما سأنقل لهما كلاماً لخادم الحرمين الشريفين –حفظه الله– يؤيد أهل العلم في هذا الحكم، ويقطع الطريق أمام الباحثَيْن ومزايداتهما الرخيصة.

يقول –حفظه الله–: "عندما أقول: إن اليوم الوطني يوم من الأيام التاريخية في هذه البلاد، فلأن الله جمع فيه الشمل في التفاف المواطنين حول بعضهم البعض.

ولقد أشرت إلى أن الأعياد هي عيدان في السنة: عيد الفطر وعيد الأضحى، هذا شيء واضح.. لكن لابد أن يعرف أبناؤنا وأبناء أبنائنا أن هذا اليوم هو اليوم الذي اجتمع فيه الشمل لا أقلّ ولا أكثر، لأنني لا أعتقد أنه يجوز من الناحية الشرعية أن تكون هناك أعياد غير الأضحى والفطر وهي المتفق عليها شرعاً"(1).

قلت: فتأمل كلامه –حفظه الله– الموافق لكلام كبار العلماء، وقارنه بكلام مدعي الفهم من خريجي الشريعة !!

المغالطة الرابعة والثلاثون :

يعيب الباحثان (في ص31–32) مناهجنا أنها تحكم على بعض الألفاظ والعبارات بتعنت ! حيث تعدها من قبيل الشرك الأصغر؛ كقول "لولا الله وأنت" أو "لولا الله ولولا فلان"، ونحوها. فهي لا حرج فيها عند الباحثَيْن!

(1) خادم الحرمين الشريفين: الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود: خطب وكلمات، إصدار: دارة الملك عبدالعزيز، (ص104).

وهذا دليل آخر على جهلهما بعقيدة السلف؛ حيث تغافلا قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان"[1]. والسبب أن حرف (الواو) يقتضي المساواة بين الخالق والمخلوق، بخلاف حرف (ثم) التي تقتضي التراخي كما يعرفه صغار الطلبة.

وقال ابن عباس –رضي الله عنه– في قوله تعالى **(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)**: "قول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك"[2].

فهل سيجرؤ الباحثان أن يعترضا علانية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى صحابته رضي الله عنهم، كما اعترضا على مناهجنا؟!

ومن جهل الباحثَيْن أنهما لم يفرقا بين العبارات السابقة التي تقتضي مساواة الخالق بالمخلوق وبين قوله صلى الله عليه وسلم عن أبي طالب "لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" ! وشتان بينهما! فالعبارات الأولى ساوت –كما سبق– بين الخالق والمخلوق في عبارة واحدة، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك –كما مضى–. أما هذا الحديث فليس فيه أي مساواة بين الخالق والمخلوق، وإنما فيه عزو الأمر إلى سببه الصحيح؛ وهذا جائز.

ولعلك تزداد عجباً عندما تعلم أن مناهجنا قد نبهت إلى هذا الأمر! فكيف لم يره الباحثان وهو في نفس الصفحة التي نقلا عنها ؟!

يقول المنهج –بوضوح–:

(–لا يذكر المسلم السبب وحده فيقول: لولا الطبيب لحصل كذا؛ إلا إذا كان يعتقد أنه مجرد سبب، وكان هذا السبب صحيحاً.

– ولا يذكره مع الله مساوياً: لولا الله والطبيب.

– وإنما يذكره بعد ذكر الله معطوفاً بثم التي تفيد التعقيب والتراخي: لولا الله ثم الطبيب).

فتأمل –رعاك الله– أي افتراء قام به الباحثان.

---

(1) صحيح أبي داود، للألباني (4166).

(2) رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن. (انظر: فتح المجيد، ص 691، تحقيق الشيخ الوليد الفريان).

وتأمل ثانية: وضوح مناهجنا وسهولة عباراتها ومتابعتها لأقواله صلى الله عليه وسلم دون إفراط أو تفريط.

المغالطة الخامسة والثلاثون :

يعيب الباحثان مناهجنا (ص 32) أنها جعلت (من أنواع الإلحاد من يطلق على الذات الإلهية اسم "المهندس الأعظم أو القوة المطلقة") ويريان أن هذا (تهويل يبني العقل الديني للطالب بشكل انفعالي غير علمي) !!

قلت: عبارة (المهندس الأعظم أو القوة المطلقة) يطلقها بعض الفلاسفة على الله –عز وجل– كما أوضح هذا المنهج!

ومعنى الإلحاد في باب الأسماء والصفات —كما سبق–: الميل بها عن الصواب بتأويلها عن معانيها، أو إدخال أسماء جديدة في أسمائه تعالى لم يسم الله بها نفسه أو يسمه بها رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد وضح المنهج هذا ! وذكر قوله تعالى (**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون**).

فأي تهويل يا هذان في اتباع قول الله تعالى ؟!

المغالطة السادسة والثلاثون :

يزعم الباحثان (ص33) أن مناهجنا الشرعية (تعتمد على مصنفات جرى تدوينها في ظروف المجادلات الفكرية..) الخ

وهذا تلبيس على القارئ. فإن مناهجنا لمن تأملها مرتكزة على قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم في كل فصولها وتفاصيلها وهما مصدران ثابتان للأمة لا تؤثر فيهما الأزمان.

وكتاب "التوحيد" للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله– الذي يلمزه الباحثان ! شاهد على هذا. فكل أبوابه إنما هي آيات وأحاديث .

وكلام الباحثَيْن إنما يصدق على مناهج أهل الكلام والحشو التي لا تكاد تجد في صفحاتها آية أو حديث! فليجتهدا في نقدها وتطويرها إن كانا جادَّيْن!.

المغالطة السابعة والثلاثون :

يقول الباحثان في توصياتهما (ص34): (2-تنقية المقررات من النزعات التكفيرية التي يضطرب بها، والتركيز على ما دلت عليه النصوص واستقر عليه كبار فقهاء الأمة من الكف عن تكفير أهل القبلة، ووجوب تقرير عصمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم)!!

قلت: ما الاضطراب -والله- إلا في عقليكما! وشاهد حالكما صادق بهذا -كما سبق في المقدمة- فما أرخص الكذب عندكما.

فأين تكفير أهل القبلة في مناهجنا إن كنتم صادقين ؟!

ومما يُعجب له: دعوتكما إلى "التركيز على ما دلت عليه النصوص واستقر عليه كبار فقهاء الأمة"! وبحثكما هذا هو ناسف للنصوص ولإجماعات الأمة؟!

فتأمل التناقض!

المغالطة الثامنة والثلاثون :

يطالب الباحثان كثيراً أن لا يُشغل الطالب بأمور يعتقدونها تصعب عليه، ولا يصل إليها فهمه، وهي مجرد عقيدة صافية سهلة عليها نور الكتاب والسنة، ثم يطالبون في المقابل في فصلهما العجيب عن (الموقف من الحضارة بين قواعد التواصل وخطاب الإدانة) (ص 21) أن تقوم المناهج بتعميق (شرعية القيم المدنية المشروعة في وجدان الطالب، مثل: المشاركة الاجتماعية وحقوق الإنسان وقيم البحث العلمي، والوعي السياسي، وقيم التعايش والحوار، واحترام القانون، والاستقلال القضائي، ودعم الحريات، والأمن البيئي وأخلاقيات المهنة...) وغيرها الكثير !!

وأيضاً يطالبان المناهج (ص21) (بتوضيح الإطار الفقهي لنظم الحياة، وبيان الكليات الشرعية العامة المهيمنة على المجالات والعلوم المدنية المعاصرة، وإبراز الوظيفة الإسلامية للمعرفة والعمران، بما يعني تأهيل الطالب بأدوات الفحص والاختبار...)!!

كل هذا الكم من القضايا -التي تكل أذهان السياسيين في فهمها- تريدان من طالب المتوسط والثانوي أن يفهمه ويستوعبه! وأما عقيدة السلف الصالح السهلة الميسرة فهي صعبة على الطالب -في نظركما- فعجباً لكما. ما هذا التناقض؟!

ثم لماذا تُرص هذه العبارات البراقة -التي أظنكما تجهلان مضامينها- المنقولة من كتب المنهزمين أمام جاهلية الغرب؛ لتكدر بها مناهجنا الصافية ويُصرف طلابنا عن عقيدتهم ؟!

وليتكم تعتبران -وأنتما لازلتما في بداية الطريق- بالدول العربية التي جربت وانخدعت بزخارف الشعارات والبرلمانات والحريات الزائفة.. الخ، ولكنها لم تجن وتذق بعد ذلك سوى مرارة الواقع الأليم الذي تكشف لهم عن حياة دنيوية بائسة، وشعب ممزق بين الأحزاب المتطاحنة، ودين مضيع. (**فاعتبروا يا أولي الأبصار**).

المغالطة التاسعة والثلاثون :

أكثر الباحثان من وصف مناهجنا بالإضطراب؛ كما في (ص4،5،21 وغيرها)، وقد تبين للقراء العقلاء من خلال المغالطات السابقة أن الإضطراب إنما هو في عقل الباحثَيْن؛ بسبب سوء الفهم والقصد. فهذا الاتهام من قبيل الإسقاط النفسي الذي يرى صاحبه الآخرين من خلال تصوراته المريضة وطباعه المتلونة.

المغالطة الأربعون :

قال الباحثان في (ص 18): "أصبح البعض يستعذب المخالفة"! فلعلهما كانا يتحدثان عن نفسيهما وبحثهما القائم على مخالفة الحق الذي تبين لأهل هذه البلاد؛ ليحق فيهم قوله تعالى (**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الحق ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**).

ماذا يريد الباحثان ؟

قد يتساءل القارئ الجاد بعد قراءته لمغالطات الباحثَيْن عن هدفهما من هذا البحث الهدمي المشحون ضد مناهجنا السلفية وضد بلادنا، رغم ما يعيشه مجتمعنا من أمن فكري وسياسي واستقرار اجتماعي مقابل مجتمعات –تدعي التقدم ويدعي مفكروها الاستنارة!– وهم غارقون إلى آذانهم في التخلف الديني والدنيوي! وبلادهم مكتظة بالصراعات والانقسامات بل والمواجهات الدامية؟!

فأقول: لقد تبين لي أن الباحثَيْن –باختصار– :

1- يريدان تذويب الفوارق بين السني والبدعي، ثم بين المسلم والكافر مهما أداهم ذلك إلى تخطي الحدود الشرعية ، ومخالفة إرادة الله في تمايز أهل الحق عن أهل الباطل ، وهذا مسلك خطير ومآلاته إن اطردت تقود إلى عقائد كفرية لا شك فيها ونربأ بالباحثَين أن يصلا إليها ؛ كالقول بوحدة الأديان، أو الدين الإبراهيمي إلى آخر الضلال[1].

2- ويريدان تقويض هذا المجتمع دينياً وسياسياً ! أما دينياً فبهدم أساساته وهي المناهج السلفية، وتسفيه علمائه. كما هو متضح من بحثهما.

وأما سياسياً: فيتبين من خلال هذه العبارة لهما وأمثالها: "قد كان من واجبات المقررات الدينية والنظام السياسي فتح آفاق المشاركة المدنية"[2]. (ص33).

(1) قد يظن البعض هذا مبالغة مني أو تحاملاً على الباحثَيْن. ولكن أقوله عن خبرة بكتب شيوخ الباحثَيْن من العصريين الذين قطعوا شوطاً كبيراً في مجال ما يسمونه التسامح والتعددية! حتى وصلوا (القرضاوي وتلاميذه) إلى اعتبار الكفار إخوة لهم! ثم وصل بعضهم (محمد عمارة – هويدي) إلى عدم تكفير اليهود والنصارى ! ثم آخرون (الترابي وغيره) إلى الدعوة إلى المذهب الإبراهيمي –والعياذ بالله–. وهكذا هي خطوات الشيطان.

فهل يتعظ القاسم والسكران قبل أن يُستدرجا إلى دركات الكفر ؟!

وأنصح القارئ الكريم بقراءة رسالة الشيخ بكر "الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان". ورسالة الدكتور أحمد القاضي " دعوة التقريب بين الأديان " 4 مجلدات .

(2) قد ينخدع البعض بمثل هذه العبارات الرنانة للباحثَيْن! –وهما بارعان في استعمال هذه العبارات كما سبق–؛ ولذا أتمنى من القارئ قراءة بحث لي بعنوان "ثقافة التلبيس" ليتبين له –إن شاء الله– حقيقة هذه العبارة وأمثالها.

ختامًا : أسأل الله أن يهدي ضال المسلمين ، وأن يعين الباحثَين إلى العودة للحق – بعد أن تبين لهما – ، وأن يجنبهما وإخوانهما ضلالات وانحرافات مدعي " العقل " من المفكرين المعاصرين الذين يحادون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، متعظين بقوله تعالى (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) .

كما أسأله تعالى أن يوفق ولاة أمر هذه البلاد للحفاظ على مكتسباتنا وتميزنا ، وعدم جعلها عرضة لكل عابث أو " طامح " .

والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .